الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

REPUBLIQUE ALGERIRNNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE-

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة 8 ماي 1945 قالـمـة

Université 8 Mai 1945 Guelma

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

Faculté des sciences humaines et sociales

قسم فلسفة

Département de philosophie

مذكرة مكملة لنيل شهادة ليسانس في العلوم الاجتماعية :

المشروع الإصلاحي عند محمد عبده

إعداد الطالبة :

- بومهرة نسيبة
- برشاوي حبيبة

تحت اشراف:

د/ عالم عبد الحميد

السنة الجامعية : 2022-2023 .

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر و العرفان

بداية الشكر الله عز وجل الذي أعاننا وشد من عزمنا لإكمال هذا البحث، ونشكره راكعين، الذي وهبنا الصبر والمطاولة والتحدي والحب لنجعل من هذا المشروع علمًا ينتفع به.

قال الرسول صلى الله ـ ﷺ: " من لم يشكر الناس لن يشكر الله. "

نتقدم بأجمل عبارات الشكر والامتنان من قلوب فائضة بالمحبة والاحترام والتقدير له، نتقدم أزكى تحياتنا وأجملها أثناها نرسلها لك بكل الود والحب والإخلاص .. شكرين لك كل ما قدمته وما نصحت لنا به في إشرافك على هذا البحث، فلك منا كل الشكر والامتنان:

الأستاذ عالم عبد الحميد.

الإهداء

حمد الله تعالى على إتمام هذه الدراسة التي بين أيدينا وأهديها بالمناسبة إلى أغلى ما في الوجود و :

. إلى كل من لا يمكن للكلمات أن توفي بحقهما

. إلى كل من لا يمكن للأرقام أن تحصي فضلهما

. إلى قرة عيني وسبب نجاحي وإلى أعز ما وهبني الله . إلى والدين كريمين .

. إلى جميع أخواتي وأهلي وأقربائي

. إلى جميع أحبتي وأصدقائي

. إلى زوجي وإلى أبي وأمي وإلى كل عائلتي الثانية

. إلى كل من يعرف نسيبة وحبيبة

. إلى إخوتي وسندي ميار ألاء الرحمان وابتهال وإلى رزان ورسيل ونور الإيمان وخولة وهدى وفاطمة شيماء وسلاف وإيناس وياسمين وإلى مريم وسلمى

. وإلى ذراع أيمن أنور أطال الله في عمره وعبد الله وصهيب وإلى من غربته أحلام إلى أخي فاتح حفظه الله إلى أخي رفيق دربي ووحيدي أنيس

fu . وأخير إلى كل من ساهم في هذا العمل من قريب أو من

فهرس المحتويات

شكر و تقدير	
إهداء	
فهرس المحتويات	
مقدمة	**أ–د**
الفصل الأول: تاريخ مشروع الإصلاحي في العالم العربي.	
المبحث الأول: معالم المشروع الإصلاحي عند محمد عبده	**01**
أولا: إصلاح لغة واصطلاحا.	**01**
ثانياً: مفهوم إصلاح عند محمد عبده.	**03**
ثالثً: العوامل المساهمة في بلورة فكر الشيخ محمد عبده.	**07**
المبحث الثاني: مشروع الإصلاحي المعاصر.	**11**
أولاً: المشروع إصلاحي عند محمد عبد وهاب.	**11**
ثانياً: المشروع إصلاحي عند رفاعة رافع الطهطاوي.	**14**
ثالثاً: المشروع إصلاحي عند جمال الدين الأفغاني.	**17**
رابعاً: المشروع إصلاحي عند عبد الرحمان الكواكبي.	**19**
المبحث الثالث: موقع محمد عبده من ثنائية الأصالة والمعاصرة	**22**
أولاً: قضية الأصالة والمعاصرة.	**22**
ثانياً: وسطية محمد عبده بين ثنائية الإصلاح عند عبد الرحمان الكواكبي وجمال الدين الأفغاني.	**22**
ثالثاً: ثنائية الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.	**23**
الفصل الثاني: ميادين الإصلاح في مشروع محمد عبده.	
المبحث الأول: الإصلاح الديني.	**27**
1– أسس التجديد الديني عند محمد عبده.	**30**
2– موقف محمد عبده من الممارسات الدينية	**32**
3– وقف محمد عبده من السلطة الدينية.	**33**

رابعاً: موقف محمد عبده من القرآن الكريم والرسول ﷺ.	**33**
المبحث الثاني: الإصلاح التربوي.	**35**
أولاً: مفهوم التربية	**35**
ثانيا: مفهوم التعليم	**37**
ثالثا: التربية والتعليم من الفرد إلى المجتمع.	**39**
رابعا: الإمام محمد عبده وإصلاح الأزهر.	**41**
المبحث الثالث : الإصلاح الاجتماعي	**46**
أولا : قضايا المرآة	**46**
ثانيا :القضايا الاجتماعية	**49**
ثالثا : مواقفهم من التحكم الاستغلال لرؤوس الأموال	**52**
المبحث الرابع : الإصلاح السياسي :	**54**
أولا: الحاكم	**54**
ثانيا : الحكومة	**55**
ثالثا : القانون	**57**
الفصل الثالث: نقد معالم الإصلاح في مشروع محمد عبده.	
المبحث الأول: نقد الإصلاح الديني.	**61**
المبحث الثاني : الإصلاح تربوي	**65**
المبحث الثالث: الإصلاح الاجتماعي.	**68**
المبحث الرابع : الإصلاح السياسي	**71**
الخاتمة.	**77**
قائمة المصادر والمراجع	

مقدمة

مقدمة:

عرف العالم الإسلامي منذ أوسط القرن التاسع عشر محاولات استعمارية أوروبية عديدة طمعا في خيراته وثرواته الطبيعية، فبعد أن سيطرت فرنسا وبريطانيا على جل الأراضي ظهر جليا أن العالم الإسلامي عامة والولايات العثمانية العربية خاصة تتعرض لحملة للإطباق على الإسلام وتعالميه، فكان هذا الدافع الكبير الذي حذا بقادة المسلمين من المفكرين ومصلحين ورجال نهضة إلى التمعن في أحوال المسلمين والبحث عن أسباب تأخرهم، فاهتدوا إلى الخطاب الإصلاحي الذي شكل نزعة نحو التجديد والتغير حاملا لواء العودة إلى الدين من أجل الدخول في المعترك الحضاري الذي أصبح يشكل حتمية تاريخية في ظل أزمات حادة شهدتها نفسية الإنسان والمجتمع العربي والإسلامي آنذاك فهناك من نادى بإصلاح العقيدة والرجوع بها إلى أصل الدين ومنهم من دعا إلى ضرورة مقاومة الاستبداد السياسي وآخر دعا إلى الاهتمام بالجانب التربوي أكثر، فكانت هذه أسباب هي التي ساهمت في ظهور الفكر الإصلاحي.

وجدير بالذكر أن ظهور شخصية جمال الدين الأفغاني (1839-1897) قد ساهمت بشكل كبير في جعل مسلمين يندفعون نحو الإصلاح عموما وبشكل خاص نحو إصلاح السياسي ونذكر كذلك رجال المصرين الذين ساهموا وحملوا للواء نذكر: رفاعة رافع الطهطاوي ، علي مبارك، عبد الله النديم، أحمد عرابي، قاسم أمين، محمود سامي البارودي، و تلميذ الأفغاني محمد عبده ، وهذا الأخير هو موضوع دراستنا من ناحية مواقفه الإصلاحية المؤثرة في الحركة التاريخية للمجتمع العربي الإسلامي المعاصر والذي تفرد بمنهجه في الإصلاح والدعوة إلى التصدي للأطماع الأوروبية في كمال أقطار العالم العربي وخاصة الإسلامي، حيث لعب محمد عبده دورا بارزا في مجال إصلاح، وارتقاء الفكر وفي هذه الدراسة حاولنا الوقوف على منهجه وخطاه من خلال مسيرته النضالية في مصر وخارجها منذ ولادته سنة 1849م إلى تاريخ وفاته في 11جويلية 1905م، لأن حياته كانت كله نضالا وجهادا حقيقيا.

أهمية الدراسة:

إذا كان لكل دراسة أهمية من خلالها نتوصل إلى حلول وإجابات عن التساؤلات المطروحة أي الإشكالية والتساؤلات الفرعية، فإن أهمية الدراسة هذا تتمثل في تسليط الضوء على الأساليب والطرق التي انتهجها محمد عبده لتجسيد جهوده الإصلاحية في العالم العربي الإسلامي وإخراجه من ويلات التخلف إلى حياة أفضل سيسودها التقدم والتطور.

– فتين أن إصلاح الذي قدمه محمد عبده قد استطاع قلب موازين ونهوض نهوضا قويا خاصة أن قوام هذا إصلاح هو ثمرة الدينية وبذورها التعليم والتربية.

أسباب اختيار الموضوع:

فقد تعددت أسباب اختيارنا للموضوع الفكر الإصلاحي عند محمد عبده بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي وهي كتالي:

أ . الأسباب الذاتية:

- ❖ الميل الشخصي للبحث في الفلسفة العربية والغموض في أهم الشخصيات فيها التي كان لها وزنها الكبير في الفكر العربي.
- ❖ التعرف شخصية محمد عبده ودور بيئته وعصره في تكوين فكره إلى جانب الدور الذي لعبه فكره الإصلاحي في بناء جيل جديد ساهم في إحداث نهضة للأمة العربية الإسلامية.

ب . الأسباب الموضوعية:

- ❖ التعرف على طبيعة الفكر الإصلاحي عند محمد عبده.
- ❖ السعي لإحياء فكر محمد عبده من خلال إنشاء بحوث ودراسات تتحدث عن فكره وذلك لأنه شخصية تستحق الدراسة.

أهداف الدراسة:

- ❖ إعادة الاعتبار للمشروع الإصلاحي الذي قدمه محمد عبده للعالم العربي.
- ❖ أتعرف على شخصية محمد عبده التي قد تكون مجهولة عند بعض من جهة أو غامضة من جهة أخرى وخاصة عند بعض الباحثين أو طلبة.
- ❖ عرض الدور الذي قام به محمد عبده في سبيل تحقيق الذات العربية والكشف عن الإسهامات التي جاء بها.
- ❖ إثراء رصيد المكتبة بأن تكون هذه الدراسة عونا وسندا لأي طال يسلط ضوء على قضايا الفكر الإصلاحي.
- ❖

تحديد الإشكالية:

نهدف أو نشير من خلال دراستنا هذه إلى معرفة معالم الفكر الإصلاحي لمحمد عبده، وذلك في عدة مجالات لعل أهمها الديني والسياسي والتربوي وهّا في إطار السعي للإصلاح المجتمع العربي والإسلامي في ظل تحديثات الاستعمار البريطاني، مبرزين الدور الذي لعبه محمد عبده في هذا الإطار من خلال إثرائه للحياة الفكرية والدينية في مصر أنداك بمناهجه الجديدة وبذلك يمكننا أن نتساءل من منطلق هذه الفكرة: ماهي مضامين الفكر الإصلاحي لمحمد عبد؟ وكيف ساهم في تجديد الحياة الفكرية والدينية في العالم العربي والإسلامي؟

تتفرع عن هذه الإشكالية الأسئلة التالية:

1- ما هو تعريف الإصلاح؟

2- ماهي أهم المسالك والمعالم الفكرية التي تبناها مشروع محمد عبده الإصلاحي؟

3- ماهي رود الفعل حول مشروع محمد عبده وماهي أهم الانتقادات التي تعرض إليها محمد عبده؟

مناهج الدراسة:

إن طبيعة الموضوع المعالج فرضت علينا أن نستخدم أكثر من منهج وهي كالتالي:

المنهج التاريخي: استعانة به في تتبع السياق التاريخي للإصلاح.●

● **المنهج التحليلي:** تحليل أفكار محمد عبده وتبسيطها حتى يسهل على القارئ فهمها.

●**المنهج النقدي:** اعتمدنا عليه في نقد فكر محمد عبده الإصلاحي من قبل المفكرين والباحثين.

هيكل الدراسة:

واستجابة للإشكالية المطروحة تم وضع خطة وهي كتالي:

فقد قمنا بتقسيم الدراسة إلى ثلاثة فصول فالفصل الأول كان بعنوان تاريخ الفكر الإصلاحي في العالم العربي الإسلامي وقد شمل هذا الأخير على ثلاثة مباحث فالمبحث الأول كان بعنوان: معالم مشروع الإصلاحي عند مشروع محمد عبده، أما المبحث الثاني: مشروع الإصلاحي المعاصر، أما المبحث الثالث: موقع محمد عبده من ثنائية الأصالة والمعاصرة.

أما الفصل الثاني: فكان بعنوان: معالم إصلاح في الفكر محمد عبده وقد اشتمل على ثلاثة المباحث، المبحث الأول: الإصلاح الديني، المبحث الثاني: الإصلاح التربوي، والمبحث الثالث: الإصلاح السياسي.

أما عن الفصل الثالث والأخير فكان بعنوان: نقد معالم الإصلاح عند محمد عبده وقد اشتمل على ثلاثة مباحث المبحث الأول نقد الإصلاح الديني والمبحث الثاني نقد الإصلاح التربوي والمبحث الثالث نقد الإصلاح السياسي والاجتماعي.

صعوبات الدراسة:

إن أي دراسة في مجال البحث العلمي لا تخلوا من عوائق وصعوبات تعترض سبيل الباحث ومن بين الصعوبات نذكر ما يلي:

- ضيق الوقت في عملية البحث وجمع المعلومات.
- فإن أبرز ما وجهنا هو كثرة المراجع التي تتباين مضامينها أدى ذلك إلى تشتت أفكار

الفصل الأول:

الامتداد الفكري الإصلاحي في العالم العربي الإسلامي

المبحث الأول: معالم المشروع الإصلاحي عند محمد عبده

أولا: مفهوم الإصلاح:

❖ الإصلاح لغة:

لقد تعددت التعاريف واختلفت في المعاجم والقواميس والموسوعات حول مفهوم الإصلاح من معنى إلى آخر، فنجد لسان العرب لابن منظور يعرف الإصلاح أنه لفظ مشتق من الفعل صلَح يصلح، صلاحًا وصلُوحا، والإصلاح هو نقيض الفساد ,ويقال أصلح الشيء بعد فساده أي أقامه.[1]

ونجد أيضا موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم تعرف الإصلاح بأنه فعل مشتق من الصلح بالضم وسكون اللام، وفي اللغة العربية لاسم من المصالحة خلاف المخاصمة، ولإصلاح مأخوذ من الصلاح وهو الاستقامة والمصالحة ويكون مناقضا للفساد والمخاصمة. ويعرف قاموس أكسفورد الإصلاح على أنه تقويم وتعديل وتهذيب، وتعني إعادة التكوين أو التكون وتعني إصلاح، وتحسين، تحسن، أو إصلاح الشيء الفاسد وإعادة تكوينه حتى يصبح قابلا للاستعمال في أي زمان ومكان.[2]

❖ الإصلاح اصطلاحا:

لقد وردت لفظة الإصلاح ومشتقاتها في كثير من آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا في الْأَرْض بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ الله قَرِيبٌ منَ الْمُحْسنينَ﴾[3]

وقوله أيضا: ﴿لا خَيْرَ في كَثير منَ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بصَدَقَة أَوْ مَعْرُوف أَوْ إِصْلَاح بَيْنَ النَّاس وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلكَ ابتغاء مَرْضَاة الله فَسَوْفَ نُؤْتيه أَجْرا عَظيمًا ﴾[4]

هذه الآيات القرآنية تدل على أن الله تعالى حث عباده على الإصلاح بجميع أنواعه وعدد عباده بالثواب على كل من يقوم بهذا العمل النبيل.

1- ابن منظور ،لسان العرب ،دار صادر ،بيروت ،ط1،ج2،ص516.
2- محمد علي التهانوي ،موسوعة كشاف إصلاحات الفنون والعلوم ، تقديم رفيق العجم ، مكتبة لبنان ، ط1، ج2، 1996، ص_ص1094_1095.
3- سورة الأعراف الآية 56.
[4] سورة النساء ،الآية :114.

يرى ابن تيمية (1263–1328) أن الإصلاح يتمثل في إصلاح العباد بأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبه صارت هذه الأمة أمة أخرجت للناس .

والإصلاح هنا يتمثل في الامتثال لأوامر الله والنهي عن الأمور التي تجلب المضرة والفساد للمجتمع وللبشرية الجمعاء.

❖ **السياق التاريخي للإصلاح:**

مما لا شك فيه أن جذور الإصلاح تعود إلى الخامس عشر، وتعتبر حركة الإصلاح الديني التي تزعمها مارتن لوثر (1432–1546) أول حركة إصلاحية ظهرت في ألمانيا ثم انتشرت في باقي الدول الأوربية الأخرى. لقد حاول بعض مفكرين العرب نتيجة لتلك الحركة إحداث حركة إصلاحية مثلها في العالم العربي وكان ذلك في القرن الثامن عشر لإخراج مجتمعهم من التخلف والفساد الذي طغى على الدين بصفة خاصة والسير بهم نحو التقدم للالتحاق بالركب الحضاري الأوروبي.

ومن أهم الحركات الإصلاحية التي نادت بهذه الفكرة نذكر الحركة الوهابية، الحركة الشوكاني ،الحركة السنوسية ..... وهذه الحركات جميعها مهدت لظهور حركات إصلاحية أخرى في العصر الحديث [1]

قدها علماء ومفكرون أمثال رفاعة الطهطاوي، خير الدين التونسي (1810–1890)،جمال الدين الأفغاني ،محمد عبده ،محمد رشيد رضا ..... مع محمد عبده وجمال الدين الأفغاني أصبحت حركة الإصلاح الديني ذات صدى واسع وحتى أن عبارة الإصلاح الديني أصبحت تستعمل في الغالب للإشارة إلى هاذين الحركتين بذات دون غيرهما [2]

وبفضلهما ظهرت حركات أخرى لتكمل المهمة التي بدأتها الحركات السابقة تزعمها مفكرون وفلاسفة أمثال، محمد رشيد رضا وقاسم أمين وعبد حميد ابن باديس (1880–1940)وغيرهم من المفكرين المحدثين .

[1] عبد الكريم بوصفصاف ، الفكرالعربي الحديث والمعاصر ،نفس المرجع السابق ،ص 288

[2] محمد حداد ،محمد عبده قراءة جديدة في خطاب الإصلاح الديني ،دار الطبيعة ،بيروت،ط1 ،2003،ص 30.

ثانيا: مفهوم الإصلاح عند محمد عبده

يعتبر جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده هما أول من قام بإدخال فكرة الإصلاح إلى دول المشرق العربي وخصوصا والعالم العربي عموما.

لقد استنبط محمد عبده مفهوم الإصلاح من القرآن الكريم كما جاء في قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.[1]

ومن ثمة فالإصلاح عند محمد عبده يعني محاولة تغير أحداث تغيراً جذريا لواقع العالم العربي الإسلامي بالتركيز على الفرد بالدرجة الأولى باعتبارها كائن فعال في مجتمعه، وبصلاح هذا الفرد يصلح المجتمع، والإصلاح عنده يتم عن طريق التربية وإصلاح المنظومة الفكرية لدى الفرد ولقد عبر محمد عبده عن أهداف هذا إصلاح وحددها في ثلاثة أهداف رئيسية وهي على نحو التالي:

1- تحرير الفكر الإنساني من قيد التقليد وفتح باب الاجتهاد، ولهذا ففهم الدين على الطريقة التي جاء بها السلف الصالح مع الاعتمادي على الكتاب والسنة النبوية.

ونادى إلى ضرورة إعمال العقل وتوظيفه في مسائل الدين مع الاستفادة من ثمار الحضارة الأوروبية[2]

2- إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير، فمن الواجب اصلاح أساليب اللغة العربية وذلك بتخطي وتجاوز عصر الركاكة والانحطاط الذي عرفته الكتابات العربية التي طغى عليها أسلوب الرديء والمحسنات البديعية من سجع وجناس واستعارات. [3]

فتركيز على اللغة العربية ناجم عن كونها تعبير عن الهوية الفرد العربي، فنجد اللغة العربية في كل زاوية من زويا الحياة المجتمع العربي، ففي دينه والحياته.

3 – الإصلاح السياسي ركز في هذا الإصلاح على اصلاح الحكومة بالدرجة الأولى لأنها من الأمور الضرورية في حياة الأمة ، ودعا فيها إلى النظام الشورى حتى يستطيع كل من الحاكم والرعية الأداء بأرائهم بكل حرية دون وجود أي عائق أو حاجز.

[1] سورة الرعد، الآية 13.
[2] محمد حمدي زقزوق ، موسوعة إسلامية عامة ، المطابع التجارية ، القاهرة ، 2003، ص 159.
[3] محمد عبده تحقيق محمد عمارة ، دار الشروق ، ط1 ، ج1 ، 2 ، 3 ، 1993 ، ص 183.
الأعمال الكاملة ،

فقد أراد من خلال الإصلاح السياسي تنظيم العلاقة السياسية بين الحاكم ولرعيته، من خلال جهة الأخرى تتبين للشعب من حقوق على الحاكم. فقد تركز مفهوم الإصلاح عند محمد عبده في ثلاثة أهداف المذكورة. أنفا اعتبرها من العناصر الأساسية التي يجب إصلاحها لكي يتحقق الإصلاح في المجتمعات العربية والإسلامية.

ومن هنا هناك سؤال يطرح نفسه وهو من يكون محمد عبده :

1- مولده ونشأته:

ولد محمد عبده حسن خير الله بقرية محلة نصر بمركز شبرا خيت بمديرية البحيرة سنة 1266هـ و1849م، من عائلة ريفية بسيطة الحال، منحته تلك عائلة الكثير من الخصال الحميدة التي جعلته فيما بعد يمثل مكانة مرموقة بامتياز على غيره من المفكرين والفلاسفة. [1]

فقد تلقى تعليمه الأول بالقرية ثم نقله والده إلى جامع الأحمدي بطنطا ليحضر دروس التجويد القرآن الكريم 1862، وهذا ما صرح به على لسان تلميذه محمد رشيد رضا

(1865-1935) قائلا: " تعلمت القراءة والكتابة في منزل والدي ثم انتقلت إلى دار حافظ القرآن فقرات وحدي أول ثم أعدت القراءة حتى أتممت حفظه مدة سنتين". [2]

وبعدما انتهى محمد عبده من التجويد القرآن الكريم أخد يتلقى شرح الكسراوي على الأجرومية، لكنه سرعان ما نبد التعميم ولم يقتنع بأساليبه ومناهجه لأنها كانت تقليدية وقديمة، وهذا ما جعله يهجر الجامع ويتجه إلى العمل في الزراعة رفقة أبيه وإخوته.

لكن والده لم يرضى بذلك وأرغمه بالعودة إلى الجامع وفي تلك الفترة التقى بالشيخ درويش خضر الذي حببه في طلب العلم وغير نظرته إليه عن طريق الرسائل التي كان يقدمها.

كما أن محمد عبده اشتراك مع جمال الدين الأفغاني في التنظيمات السياسية السرية التي أنشأها الأفغاني بمصر فدخل الماسونية هذه الأخيرة قامت في أروبا في العصور الوسطى ضد استبداد الأباطرة وسلطة

[1] محمد عبده الأعمال الكاملة : الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية ، د ن، القاهرة ، ط 5 ، 1938 ، ص 1
[2] محمد عبده: الأعمال الكاملة ، الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية ، مرجع نفسه ، ص - ص 13 - 14 .

الباباوات وسعيها في سبيل الديمقراطية والتحرر ورفعها شعار الثورة الفرنسية (الحرية ، المساواة ، الأخوة) ودخل معه أيضا في الحزب الوطني الحر الذي كان شعاره " مصر للمصرين لا للأجانب ولا للنشر. [1]

2- إنتاجه الفكري:

فقد ترك لنا محمد عبده أثار قيمة في مختلف المعارف والعلوم (الدين ، السياسة ، التربية ، التعليم ، الفلسفة ، التاريخ .....) ويمكننا تقسيم هذه المؤلفات حسب المراحل التي مر بها في حياته وهي على النحو التالي:

2-1-المؤلفات التي كتبها قبل نفيه:

أ- رسالة الواردات الفلسفية 1872.

ب- رسالة المدير الإنساني والمدير العقلي الروحاني 1876.

ج - التحفة الأدبية 1877.

د - العلوم الكلامية والدعوة إلى العلوم العصرية 1877.

هـ - أما فيما يخص المقالات التي كتبها فنجد مثلا:

- **تفريط جريدة الأهرام 1876.**

- **الكتابة والقلم 1876.**

صاغ العديد من أثار أستاذ الأفغاني مثل: تأليفه لحاشية على شرح الدواني للعقائد العضدية 1876 ، وفلسفة الصناعة ورسالة اللوردات المذكورة سابق.[2]

2-2- المؤلفات التي كتبها في مرحلة المنفى:

أغلب المؤلفات والمقالات التي كتبها في هذه المرحلة نشرت في جريدة الوقائع المصرية ، نذكر على سبيل الحصر:

أ - عيد مصر ومطلع سعادتها.

[1] عبد الرحمان بدوي: الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د ب ، ط1 ، 2005 ، ص 26.
[2] محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده ، دار الفضيلة ، ط2 ، ج 3 ، 2006 ، ص 50.

ب – حكم الشريعة في تعدد الزوجات 1881.

ج– حكومتنا والجمعيات الخيرية 1880.

د ـ تأثير التعليم في الدين والعقيدة.

و. لائحة إصلاح التعليم العثماني.

ز ـ لائحة إصلاح القطر السوري.

س . لائحة إصلاح التربية في مصر.[1]

2-3-الجرائد :

قام محمد عبده في هذه المرحلة بتأسيس جريدة العروة الوثقى مع أستاذه جمال الدين الأفغاني صدر منها سبعة عشر عددا أوله كان في مارس 1884 وآخر عدد في 17 أكتوبر 1884.[2]

وكانت هذه الجريدة تسعى إلى تحقيق مجموعة من الأهداف وهي على نحو التالي:

1– خدمة الشرقين عامة وتبين لهم الوجبات التي يجب عليهم القيام بها وتوضيح الطرق التي يجب إتباعها لتدارك الأخطاء الماضية.

2– تبين الأسباب والعلل التي أدت إلى تخلف الشرقين بصفة خاصة وضعفهم وفي طليعتها تفريطهم في تعاليم دينهم.

3– إحياء الأمل في نفوسهم وتبين لهم أن طريقة النهوض ليست بالأمر الصعب.

4– الرد على التهام الذي وجه إلى الشرقيين بصفة خاصة وإلى المسلمين بصفة عامة خاصة أنهم لن يتقدموا ما دموا متمسكين بدينهم.

5– تنبيه الشرقين بضرورة الاطلاع على الأحداث العالمية وأسرارها ليحيطوا علما بما يدبره السياسيون الأوروبيين لكي يعلموا في أي عالم يعيشون.

[1] عبد الرحمان بدوي : الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية ، نفس مرجع سابق ، ص 20.
[2] عبد الرحمان النحلاوي : أعلام التربية في الإسلام ، دار الفكر ، دمشق ، ط 1 ، 1986 ، ص 27.

6- تقوية العلاقات بين الأمم الإسلامية وبيان المنافع المشتركة بينهما على مناصرة كل سياسة خارجية بشرط أن لا تكون مضرة بالشرقين.[1]

2-4- المؤلفات التي كتبها بعد عودته من المنفى:

بعد عودته من المنفى بدأ يكتب في مجلة " ثمرات الفنون " البيروتية ومن أهم مؤلفات التي دونها في تلك الفترة:

1- رسالة التوحيد 1887.

2- الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية 1902.

3- تفسير القرآن الكريم 1899.

4- الوصية التربوية التي أملاها بالفرنسية على كونت دي جريفل في كتابه " مصر الحديثة " تحت عنوان "الوصية السياسية للمرحوم المفتي محمد عبده ".

5- ترجمة كتاب " التربية " ل هربرت سبينسر (1820-1903).

6- الرد على غبريال هانو تو.

7- تحقيق وشرح دلائل والإعجاز. [2]

ثالثا: العوامل المساهمة في بلورة فكر الشيخ محمد عبده:

لقد أثرت على فكر محمد عبده مجموعة من العوامل (الاجتماعية، السياسية، ثقافية..) مما دفعته إلى تغير واقع العالم العربي والسير به نحو التقدم، وتتمثل تلك العوامل فيما يلي:

1- العوامل الاجتماعية:

فقد تميزت الحياة الاجتماعية في عصر الإمام محمد عبده بوجود تفاوت كبير في البناء الطبقي، حيث كان على قمة هذه الطبقات كبار ملاك الأراضي والتي كانت تمتلك 43,9 بالمئة من جملة الأراضي الزراعية،

[1] الأفغاني ومحمد عبده ، العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى، تحقيق بطرس السباتي ، دار العرب، القاهرة ، ط 3 ، 1993 ، ص ـ ص 33 ـ 34.

[2] محمد عبده الأعمال الكاملة: ج 1، ت ح محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، ط 3، 1993، ص 30.

وقد اعتبر كبار الملاك هذه الأراضي أنفسهم الطبقة المؤهلة لحكم المجتمع فاحتلوا المجالس النيابية التي عرفتها مصر سنة 1866، وكان منهم النظار والمديرون ورؤساء المحاكم. [1]

حيث نجد أن محمد عبده ظروف التي عاشها في مصر من طبقية بين أفراد حيث يرى في هذه الفترة من يملك هو القوي وهو الذي يحكم.

أما الطبقة الوسطى فقد مثلها فئتين فئة المثقفين التي شملت قطاع يشمل الموظفين، وأصحاب المهن الحرة من المحامين والمهندسين والأطباء والصحافيين وأساتذة المدارس العليا والطلاب وقد نشأت هذه الطبقة في عهد محمد علي إثري إنشاء نظام التعليم الحديث ودراسة التلاميذ للعلوم الحديثة واللغات الأجنبية وبرغم ارتفاع المستوى الثقافي والتعليمي لهذه الطبقة إلا أنها كانت محرومة من شغل مراكز اللائقة والتي كانت مخصصة فقط للإنجليز والأجانب.

أما الطبقة الثانية فتمثلت في عامة الشعب من عمال وفلاحين واتسمت أحوال عمال هذه الطبقة بأجورها المنخفضة حيث لم يكن يتعدى أجر العمال ثماني قروش يوميا أما الفلاحون فقد كانوا يشكلون غالبية سكان مصر فكانوا لا يملكون إلا مساحة قليلة من جملة أراضي.[2]

حيث تتمثل هذه الطبقة في كونها تعاني من ضرائب الكثيفة التي تفرض عليهم فيؤذونها إلا بإكراه فقد تميزت أحوال الفلاحين بصفة عامة بانخفاض مستوى المعيشة والتخلف الفكري الشديد بسب انتشار الأمية بينهم بشكل ساحق.

أما الطبقة ثالث تميزت فهي تتمثل في التجار وأصحاب الورش الصناعية الصغيرة التي تأثرت بالاحتلال البريطاني بعد أن سيطرت العناصر الأجنبية على النشاط الصناعي والتجاري والأسواق الداخلية.

أما الطبقة الرابعة فتمثل في الطوائف الأجنبية التي تمثلت في الأوروبيين الذين ازداد عددهم في الأراضي المصرية نتيجة الامتيازات والتسهيلات التي منحت لهم حيث امتلكوا الأراضي الزراعية والبيوت والمباني، كما كانوا غير معنيين بدفع الضرائب مما جعلهم يشتغلون في وظائف مرموقة. [3]

وهذه أخيرة تضمنت طبقة طوائف الأجنبية نجد اليهود الذين ازداد عددهم فحسب إحصاء 1897 نجد خمسة وعشرون ألف يهودي يشتغلون بالأعمال التجارية، كما كان هناك طائفة الأتراك التي تمتعت

[1]. عبد العظيم رمضان: صراع الطبقات في مصر1837_1952 المؤسسة العربية، بيروت، ط1، 1978 ص171
[2]- محمد عبده الأعمال الكاملة: مرجع سابق، ص - ص 31 - 32
[3]- عبد العظيم رمضان: صراع الطبقات في مصر، 1837 - 1952، مرجع سابق ص 172.

بامتيازات كثيرة فكان منهم ضباط الجيش وكبار ملاك الأراضي كما شغلوا مناصب محافظي المديريات، ونظر لوجود الاحتلال البريطاني في مصر آنذاك فقد الأتراك مراكزهم القيادية في الجيش.

أيضا كذلك نجد الجالية الشامية من الفئات الأخرى التي جاءت إلى مصر هرباً من ظلم الحكم التركي فقد كان الكثير من هذه الجالية على درجة كبيرة من الثقافة وكانوا يجيدون استخدام اللغات الأجنبية فوصلوا بذلك إلى أعلى مراكز الإدارية في الدولة.[1]

وفي أخير نستخلص بأن محمد علي وأسرته في القرن الثامن عشر ميلادي استولى على ثروات الشعوب خاصة الأراضي الزراعية وجعلها تحت سيطرت الدولة لخدمة أغراضه الشخصية، وقد كانت القرية التي يقطن فيها محمد عبده وهي محلة نصر من أكثر المناطق المتعرضة للظلم والاستبداد خاصة أسرته التي عاشت هذا النوع من الظلم، بحجة أنهم من الذين يملكون السلاح وأنهم يحرضون أهل القرية على الحكام، لذلك كانت طفولة محمد عبده القاسية نوعا ما.

2- العوامل الثقافية:

فقد وقع محمد عبده في مرحلته الأولى تحت تأثير التصوف بعد مصاحبته الشيخ درويش خضر الذي غير نظرته إلى العالم وحجبته إليه، وهذا ما يعبر عنه محمد عبده بقوله:" ولم أجد إماما يرشدني إلى ما توجهت إليه نفسي إلا ذلك الشيخ الذي أخرجني في بضعة أيام من سجن الجهل إلى فضاء المعرفة، ومن قيود التقليد إلى إطلاق التوحيد ... هذا هو الأثر الذي وجدته في نفسي إلا ذلك الشيخ الذي أخرجني في بضعة أيام من سجن الجهل إلى فضاء المعرفة، ومن قيود التقليد إلى إطلاق التوحيد ...هذا هو الأثر الذي وجدته في نفسي من صحبة أحد أقاربي، وهو الشيخ درويش خضر من أهل " كنيسة أورين " من مديرية البحيرة وهو مفتاح سعادتي إذا كانت لهي سعادة في هذه حياة الدنيا، وهو الذي ردني ما كان غاب من غريزتي، وكشف لي ما كان خفي عني مما أودع فطرتي. [2]

نرى هنا بأن بفضل الشيخ خضر استطاع محمد عبده أن يخرج من ظلمات الجهل والعجز إلى النور وتقدم والعلم.

[1]- لويس عوض: تاريخ الفكر المصري الحديث من عصر إسماعيل إلى ثورة 1919، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، د ط ، 1980، ص 325.

[2]- الطيبي حرة: محاضرات مقياس الشعر العربي في عصر النهضة النهضة ،ألقيت على طلبة السنة 1ماستر أدب عربي حديث ومعاصر، جامعة تلمسان ، الموسم 2016- 2017.

كما يبرز تأثير أستاذ الأفغاني تأثير كبيرا على محمد عبده الذي لعب دور كبيرا في تنشئته.

3- العوامل السياسية:

كان الشيخ محمد عبده فلاحاً بمولده ونشأته، ينتمي إلى القرية نشأت في ظل عهد الإقطاع، حيث كانت واقعة تحت سيطرة وظلم الطبقة الحاكمة، وخاصة أسرته لأنها كانت ذات منزلة رفيعة في القرية، ونظراً لمكانتهم المرموقة فقد كانت هدفا الأنظار الحاكم المتسلط، لأنها كانت تشكل عائقا أمام الحاكم في كثير من الأحيان بينه وبين أغراضه من عامة الرعية فكان مصابهم بالظلم مضاعفا، وهذا ما دفع بمحمد عبده إلى التفكير في الثورة للتحرر من التسلط.[1]

حيث نجد أن محمد عبده قد ترعرع ونشأ في بيئة تسيطر عليها الظلم وخاصة أسرته للأن كانت لها وزن داخل مجتمع وهذه الأخير كانت محل أطماع العديد من الناس فهذا وضع دفع محمد عبده إلى تفكير في حل لتوجه إلى تحرر لا للسيطرة.

كما تعتبر الثورة العربية التي شارك بها محمد عبده وجمال الدين الأفغاني من أهم العوامل السياسية التي تأثر بها محمد عبده في مشروعه الإصلاحي، وهذا ما شكل محفزا قويا للإصلاح السياسي عنده، وكان فشلها سبباً في تخلي محمد عبده عن السياسة والسير نحو اتجاه التربية والتعليم.[2]

فتعتبر هذه من أهم العوامل السياسية والاجتماعية والثقافية التي ساعدت على بلورة فكر محمد عبده وعلى أساسها بنى مشروعه الإصلاحي في البلدان العربية.

عباس محمود عقاد: مدخل في الإصلاح والتعليم الأستاذ دار الكتاب العربي، بيروت ،1971 ، ص 110 - 111.

[1] - الإمام محمد عبده ،

[2] - محمد عبده: الإسلام بين العلم والمدينة ، تح : طاهر الطناجي، دار الهلال ، القاهرة ، 1960، ص 27.

المبحث الثاني: المشروع الإصلاحي المعاصر.

أولا: المشروع الإصلاحي عند محمد عبد الوهاب.

1- الإصلاح الديني :

إن تعدد التيارات الفكرية هو من باب سنة الاختلاف والتي هي نتاج طبيعي لسنن الله الكونية في الأرض التي أوجبها على خلقه ،بالإضافة إلى دلك نجد بأن واقع المجتمع العربي الإسلامي في القرون القليلة الماضية شهد ظهور العديد من التيارات الفكرية المختلفة والتي كانت تسعى إلى تحقيق النهوض بالعالم العربي الإسلامي ،وقد اجتهد المؤرخون في تقسيم مفكري النهضة إلى تيارين :أحدهما يتبنى الأصالة والآخر المعاصرة ثم سنقوم بتسليط الضوء على إحدى أهم شخصيات تيار الأصالة في الفكر الإصلاحي ألا وهو محمد عبد الوهاب. [1]

كان محمد عبد الوهاب يدعو إلى عقيدة التوحيد ،فسمي أتباعه بالدعوة السلفية ،نسبة إلى السلف الصالح ،ويهدف إلى إعادة الناس إلى تحقيق التوحيد ونبد الشرك لقوله تعالى :﴿وَمَا خَلَقْتَ الْجنَ وَالإنْسَ إلا ليَعْبُدُون﴾[2]

دلك لأنه وجد في عصره الناس يستغثون بالأموات والأولياء الصالحين من أجل قضاء الحاجات وتفريج الشدائد ،وهدا هو شرك لا يختلف عن شرك الجاهلية في شكلها ومن هنا كانت دعوة محمد بن **عبد** الوهاب مرتكزة على الجانب الديني كما إقتضته حاجات ومتطلبات البيئة ،لدلك إرتبط الفكر الإصلاحي عند محمد بن عبد الوهاب بالتوحيد الدي يرتكز على إرتباط العبد بربه إرتباطا مباشرا ،ولعل كتابه "التوحيد حق الله على العبيد "يمثل ترجمة شاملة لمنهجه الإصلاحي فالتوحيد عنده هو إفراد الله الخالق بالعبادة داتا وأفعالا فحق الله على عباده هو عبادته وعدم الإشراك به ،فالله تعالى قد يغفر الدنوب إلا أن تكون شركا .[3]

[1] محمود أمين العالم :الهشاشة النظرية في الفكر العربي المعاصر [د ن،د ب،د ط ،1995]ص11

[2] سورة الداريات ،الآية 56.

[3] محمد بن عبد الوهاب :كتاب التوحيد حق الله على العبيد [مكتبة دار الكتاب الإسلامي ،المدينة المنورة ،دط ،1991]،ص05.

لقوله تعالى :﴿إِنَّ الله لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرك به وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلكَ لمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكُ بالله فَقَد افْتَرَى إِثْمًا عَظيمًا ﴾.[1]

إن تربية النفس وإصلاحها لا تكون إلا بفهم معنى التوحيد،و بالتالي لابد من ربطها بالأساس الديني دون الأسس الأخرى ،فمن شأن هدا الأساس أن يكون مغنيا عن كل الأسس الأخرى ،ومن شأنه أن يعد الإنسان للحياة إعدادا تاما ،ولهدا لابد أن تقوم التربية على الإقرار بالشهادتين لأن الحياة تبنى على الخضوع لله ومحبته والالتزام بإتباع رسوله ،فالكل متفق على أن أول ما دعا إليه الإسلام ،وأمر به العباد هو الشهادتان فهما مفتاح تربية الإنسان وإعداده [2]

فلابد أن تنطلق تربية الصبي من غرس معاني التوحيد في نفسه ودلك من خلال تعليمه مبادئ التوحيد والعقيدة ومعرفة الخالق من خلال آياته لأن شهادة تتضمن الإقرار بالصانع تعالى وبرسوله صلى الله عليه و سلم [3]

لقد وضع محمد بن عبد الوهاب منهجا تربويا ينصح به الآباء تعليم أبنائهم أمور دينهم وعلى الآباء أن لا يغفلوا عن هدا الأمر بحجة أن أبنائهم مازالوا صغار ،ولهدا فإن تربية الولد لابد أن تنطلق من تلقينه مبادئ التوحيد، وهو ما أكد عليه محمد بن عبد الوهاب في كتابه "تعليم الصبيان التوحيد "،حيث رتب دلك على طريقة السؤال والجواب في الأمثلة التالية :

س01:إدا قيل لك من ربك ؟

ج:فقل ربي هو الله

س02:وما معنى الرب ؟

ج:المالك المعبود والمعين .....الله .....دو الألوهية والربوبية على خلقه أجمعين .

س03:فإدا قيل لك :بماذا تعرف ربك ؟

ج:فقل أعرفه بآياته ومخلوقاته ،ومن آياته :الليل ونهار ،والشمس والقمر ،ومن مخلوقاته : السماوات والأرض وما فيهما)) .

[1] سورة النساء ،الآية 48.
[2] عبد الرحمن النحلاوي :أعلام التربية في الإسلام ،[دار الفكر ،دمشق،ط1، 1986]،ص 22.
[3] أحمد عبد الحليم ابن تيمية :درء تعارض العقل والنقل ،ج80،ت ح محمد رشاد سالم [جامعة الإمام محمد بن مسعود ،السعودية ،ط،1991،2]،ص ص

تعليمه معاني الشرك ،حتى يستطيع الطفل التفريق بينه وبين التوحيد ،إدا يجب عليه فهم أن الشرك هو :أن يجعل الله ندا يدعوه ،ويرجوه ،أو يخاف عليه ،أو يتوكل عليه أو يرغب إليه من دون الله ، ومن غير دلك من أنواع العبادات .

2-الإصلاح التربوي :

إن النموذج التربوي الإصلاحي عند محمد بن عبد الوهاب يتمحور حول الإصلاح من الداخل ،والمقصود هنا أن حركته ارتبطت بالمعطى الداخلي أي الخرافة التي كانت سائدة ،لذا فإن ثورته كانت انتصار للعقل على البدع والخرفات ،ولهذا كانت دعوة بن عبد الوهاب حركة مستقلة عن ضغوط فكرية لأنها مهمومة فقط بتجديد الداخل وتأسيسه على أوامر الشريعة النقية

يتضح لنا بأن اتجاه محمد بن عبد الوهاب التربوي الإصلاحي كان يتركز على عقيدة باعتبارها الأساس ،ودعا إلى تقنية الروح من كل الشوائب الشرك والبدع ،وضرورة ترسيخ جميع الأخلاق الدينية في النفوس البشرية ،وترويضها على العادات الحسنة وإن من يرقب حركة التغير الثقافي في المجتمع الذي كان يعيش فيه بن عبد الوهاب يدرك حقيقة هذا المصلح التي فهمت وفقهت الواقع السيئ من حولها ،وتقديرها لدرجة فساده وانحرافه ،وقنا عته بضرورة معالجته ،ولهذا فان هذا المصلح حمل لواء الإصلاح ،وقاد حركة التغير التي شملت الجانب الثقافي وضرورة تهيئة العوامل الاجتماعية التي تتعلق بتربية الإنسان ،وتنشئته لأنه في آخر المطاف سيخضع لتأثيرها في توسيع مداركه وبناء مفاهيمه وترقيتها ثقافيا.[1]

3- الإصلاح الاجتماعي :

مما في أن التربية تزدهر وتتعدل إلا إذا كانت الظروف محيطة مهيأة ومحفزة ،مثلها مثل نبة التي لا تنمو إلا في ظروف مهيأة لها ،وهو أمر يوحي بأن في مجتمع سلبيات قد تعود على الفرد ،ولهذا يقول "بن عبد بن الوهاب وإياك أن تكون لك من أهل البدع أخ أو جليس أو صاحب "،فانه جاء في الأثر:"من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه ،ومن مشى إلى صاحب بدعة مشى في هدم الإسلام "[2]

[1] محمد بن عبد الوهاب :كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد ،ج1،ت ح ،إسماعيل بن محمد الأنصاري (المركز الإسلامي للطباعة والنشر ،القاهرة ،دط ،دس)،ص 310

[2] محمد بن عبد الوهاب :كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد ،ج1،ت ح إسماعيل بن محمد الأنصاري ،(المركز الإسلامي للطباعة والنشر ،القاهرة،د ط،د س

لأنهم سبب في فساد الفرد وانحلاله الخلقي ،وإذا أراد الفرد أن يرتقي يجب عليه توجه نحو إيجابيات الموجودة في المجتمع .

كما ينبه على ضرورة الإصلاح ،فصلاح المجتمع في صلاح الفرد،لابد من أن نتبع المسألة التي تنفرد بها التربية الإسلامية وهي مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،وهذه ميزة مما جعلتهم يميزون عن باقي الأمم لأخرى لقوله تعالى ﴿ كُنْتُم خَيْرَأُمة أُخْرِجَت للنَّاس تَأْمُرُون بَالمَعْرُوف وتَنْهَون عَن الْمُنْكر وَتُؤمنُون بالله وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكَتاب لَكَان خَيْراً لهُم منْهُمُ الْمُؤْمنُونَ وَأَكْثَرُهُم الْفاسَقون ﴾ [1]

فوجود هذه ميزة يؤدي إلى حفظ الإنسان وتطهير بيئته الاجتماعية ،وجميع نشاطات الثقافية التي تزيح إنسانية الإنسان وتنال كرامته .[2]

من خلال ذلك نستطيع القول أن محمد عبد بن الوهاب بفضل عدة بوادر مختلفة والتي كانت لها الأثر في تكوين النفسي والعقلي والاجتماعي أن يدرك ضلال الناس مضمون العقيدة فكان لابد من الإصلاح ماتم فساده لتكون دعوة بارزة للعالم ،فالتربية كانت ضمن مضمون هذه الدعوة وميادينها ولذلك نلاحظ أنه ربط فكر التربوي بالتوحيد .

من خلال هذا يتضح لنا أن توجه محمد عبد بن الوهاب لا وهو بإصلاح مادي ولاهو بإصلاح حياة المعنوية ،بل كان توجها محصورا في الجانب الروحي الأكثر ومن الواقعي إهتمام بجانب الديني وكذلك بتقوية العقيدة وبالناحية الخلقية كما صورها الدين .[3]

ثانيا: مشروع الإصلاح عند رفاعة رافع الطهطاوي :

لقد أدى إحتكاك العرب بالغرب إلى تعرف عن حركات السياسية ومعرفة أنظمة الحكم الغربية ،وكذلك إلى معرفة المبادئ التي تنادي بها هذه حركات ،وهذا أدى إلى معرفت أسس التي تقوم عليها تلك الأنظمة مقتبسين عنها مفاهيم جديد كالحرية والدستور ،وهذه مصطلحات مقتبس قد لقت صدى كبير لدى مفكرين العرب ومن بينهم رفاعة رافع الطهطاوي ،رافق بعثات علمية إلى باريس وعندما عاد إلى مصر ،نشر ما قد توصل إليه عن المجتمع الفرنسي في كتاب "تخليص الإبريز في تلخيص باريز "[4]

[1] عمران ،الآية 110.
[2] ماجد عرسان الكيلاني: مناهج التربية الإسلامية والمربون والعاملون ،(مؤسسة الريان ،بيروت ،د ط ،1998)،ص 190.
[3] سعيد إسماعيل علي: الفكر التربوي العربي الحديث، (سلسلة عالم المعرفة، الكويت ،العدد 113،1990)،ص 61.
[4] على الحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ،1798_1914،(دار الأهلية ،بيروت ،د ط،1987)ص97.

الذي فهم المجتمع والشعب الفرنسي فهم محبون للعمل والنظافة وتعليم الأولاد ،فكتابه "تخليص الإبريز "هو بحق يعتبر أول نهج نهل من العقل العربي وبواسطته أطل على الحضارة الغربية الحديثة .

إذا يأتي الطهطاوي على رأس مشروع يمكن أن يطلق عليه اسم المشروع المعاصر وقتها ،حيث يعتبر أشهر أعلامه في مصر ،للأنه يرى بان كل من المسلمين والعرب يمكنهم أن يزدهرو ويتقدمو دون تقليد واقتباس الكلي من نموذج الغربي وإعتباره كطريق للنهوض .[1]

إن مشروع الطهطاوي يدعو إلى التجديد في الحضارة العربية الإسلامية انطلاق من القديم أي التراث ،ومن ثم فإذا نظر اليه فإننا نجد أنه يؤكد لنا على قيم النهوض وازدها على سبيل التراث ومن تم فهو يتأكد عليه ،ومن ذلك فالتراث هو عبارة عن نهر تنهل منه الأمة ما يقيدها في حاضرها تطلع على مستقبل وبنائه ،وإذا نظرنا فإننا نجد أن نظرة التراث كانت موجودة وغالبة على جميع الإصلاحين ذلك لأن التراث يقوم بلعب دور الفاعل في توجيه السلوك وإدراك الكون ،وإذا كان التراث كذلك فرفضه والتمرد عليه ،تؤدي نتائجه إلى إجهاض المحاولات إصلاحي

إن الطهطاوي ينقل للأمة صورة الآخر أي الحضارة الغربية فيقوم بالكشف عن الحسنات الآخر التي تتفق مع الموروث الإسلامي وتحدث عن مساوئه الآخر وكانت غايته هو تعرف الأمة على واقع غيرها فتعكف على دراسة واقعها وعلى استدراك نقاط ضعفها لعلاجها.

فبهذا يتضح لنا بأن طهطاوي كان مطلعا على انحطاط حضاري للمجتمعة، لذا لم ينكر الآخر بل أراد نهوض واقعه من التخلف، لأنه يرى أن تخلف الأمة العربية هو عبارة عن عقبة وفجوة وقفت في طريق نهوضنا نحو التقدم وجب إزالتها وإزاحتها من أجل نهوض بالأمة لتحقيق ازدهار كما فعل الغرب [2]

1- الإصلاح التربوي:

فالتعليم عنده له غاية واحدة وهي تكوين الشخصية الصالحة عند الفرد، وليست مجرد الاقتباسات للمعلومات لذلك دعي إلى لاهتمام المدارس بالرياضة البدنية، مع مراعاة الجانب الصحي للتلاميذ من خلال الإشراف الطبي، كما يجب أن يكون دور المدرسة هو زرع الأخلاق نبيلة في نفوس التلاميذ مثل العفو عند المقدرة ولإحترام الوالدين وما شبه ذلك من قيم كريمة.

[1] ألبرت الحوراني: الفكر العربي في عصر النهضة 1798_1939'تر كريم عزقول (دار النهار، بيروت، د ط، د س)،ص 149
[2] رفاعة رافع الطهطاوي: الأعمال الكاملة التمدن الحضارة العمران، ج1، ت ح محمد عمارة (دار الشروق، د ب، د ط ،2010) 'ص 196.

2- الإصلاح السياسي:

فيبرز الطهطاوي أهمية الفكر السياسي في بناء المجتمعات، حيث يرى بأن السياسة التي على الناس ممارستها هي السياسة التي تراعي مصالح كافة الناس داخل المجتمع،[1]

وللسياسة عنده تتمثل في عدة أقسام وهي:

- **السياسة النبوية:** وهي السياسة الخاصة بأنبياء والرسل فقط حيث خصصها الله تعالى لهم دون غيرهم من البشر.

- السياسة الملوكية: وهي السياسة التي تهتم بإحياء السنة وحفظ الشريعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- السياسة العامة: وهي الرياسة على الجماعات كرياسة الأمراء على البلدان.

- السياسة الخاصة المنزلية: وهي سياسة تعتبر الأسرة والمنزل مكانها نشط لتطبيقها.

- السياسة الذاتية: وهي عملية قيام الإنسان بتفقد أفعاله وأخلاقه.[2]

فحسب رفاعة رافع الطهطاوي السياسة تتمثل في ثلاثة عناصر رئيسية وهي:

أ- المواطنة: فقد حصر الطهطاوي السياسة في أنها تعني حقوق وواجبات متبادلة بين الإنسان ووطنه، فحين يقال: وطني فمعنى ذلك أنه يتمتع بحقوق بلده وأعظم هذه الحقوق الحرية، فالمواطنة تستلزم أن يؤدي المواطن واجباته اتجاه وطنه ليحصل على حقوقه، أما إذا لم يؤدي ما عليه اتجاه وطنه ضاعفت حقوقه المدنية التي يستحقها.[34]

ب - الحرية : يرى الطهطاوي أن الحرية تسهم في توسعه التمدن والسبب في ذلك ترخيص الملوك للعلماء بتدوين الكتب الشرعية ،ولأدبية والسياسة وذلك بشرط عدم وجود ما يسبب الإختلال في الحكومة ،فنتيجة لإعجاب طهطاوي بحرية المعتقد في فرنسا،فقام بترجمة أجزاء الدستور الفرنسي والتي تقررقيم

[1] ألبرت الحوارني: الفكر العربي في عصر النهضة 1798_1939، مرجع سابق،ص 30.
[2] - رفاعة رافع الطهطاوي: المرشد الأمين، في تعليم البنات والبنين، (المجلس الأعلى للثقافة، د ب، د ط ،2002)، ص 259.
[3] - رفاعة رافع الطهطاوي: مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، (المجلس الأعلى للثقافة، د ب، د ط ،2002) ،ص99.
[4]- رفاعة رافع الطهطاوي: مناهج الألباب المصرية في مباهج الأداب العصرية، مرجع سابق، ص 197.

الحرية والمساواة في كتابه "تخليص الإبريز "ورأى أن أهم ما يميز هذا الدستور تحديده لواجبات وحقوق كل من الحاكم والمحكوم .

ج – العدل والمساواة: إن العدل هو من أهم المفاهيم المتداولة في الخطاب الطهطاوي الفكري، فقد ماثل الطهطاوي كل من العدل في الدستور الفرنسي والعدل في الشريعة الإسلامية، كما أنه ماثل بين العدل والحرية ويعتبر أن هذا العدل هو سبب عمار البلاد.[1]

فالشريعة الإسلامية قد سوت بين جميع في العدل والإنصاف ولهذا قام بالإعلاء من قيمتها ففي رأيه أن العدل لا يحدث إلا بمعرفة الحاكم للشريعة، وذلك لأن سعادة الممالك وشقاوتها في الأمورها الدنيوية إنما تكون بقدر ما يتيسر لملوكها من المعرفة بالشريعة

ثالثا: الفكر الإصلاحي عند جمال الدين الأفغاني:

1- الإصلاح الديني:

إن دعوة جمال الأفغاني حصر إصلاح عنده يرتكز على الجانب الديني والجانب السياسي كذلك للأن إسلام يفرض عدم تقوقع والتمسك بالتراث، كما أن الإسلام عنده لا ينحصر في الانفتاح الكلي على الغرب ،كما أن الفكر الأفغاني كان يميل إلى السياسة وكما أنه يدعو إصلاح الحكومة ،والغاية من ذلك أنه كان يعتقد أن هذا الإصلاح سيؤدي حتما إلى إصلاح الشعب ،ومع ذلك فإن جهوده في الإصلاح والنهضة كانت واضحة المعالم ،وتأثيرها كان فعالا الإزاحة جمود الفكر ،وذلك لأنه كان واحد من الأعلام الذين حملو مشاعل الحرية والثورة في مختلف الميادين والذين تمثل نضالاته نمادج رائعة ،لصنع البناء الحضاري. [2]

إن الأفغاني دعا إلى إعادة النظر في مناهج تفسير القرآن وذلك للأن مشروع إصلاح عنده إتخد من القرآن كمرجعية يصدر عنها في دراسة الواقع المسلمين، وذلك قصد معرفة مشكلاته وللتحديد الوسائل اللازمة لنهوضه ،للأنه يرى بأن العمل بأحكام القرآن وتطبيقاتها سبيل نجاة المسلمين ،فهو يرى في القرآن سعادة الدارين الدنيا والآخرة .[3]

[1]- رفاعة رافع الطهطاوي: تخليص الإبريز في تخليص باريز، مرجع السابق ،179.
[2] - محمد عمارة جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام (دار الشروق ،القاهرة ،ط 1988) ، ص 12
[2]- جمال الدين الأفغاني :الأعمال الكاملة ،ج 2،ت ح ،محمد عمارة (مؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،د ط ،1981)،ص 67.

إن منهج جمال الدين الأفغاني في مشروعه للإصلاح الديني يرتكز على تنقية الإسلام مما علق به من شوائب كا لخرفات والبدع وبجعل حكومة الإسلامية قوامها العدل والشورى مع الحرص على الاختيار حير الناس للتولي الأمور ومن تم تحرير الوطن الإسلامي من الاستعمار ثم الوقوف في وجه المصدي للقرآن وكذلك السنة الصحيحة وبيان صحتها بأسلوب العلمي والتاريخي.[1]

كما يرى أن الجامعة الإسلامية في تصوره هو تضامن المسلمين وتفاهمهم حول ما ينص به القرآن الكريم والسنة، فالجامعة العربية حسبه فهي مبنية على التحرر والغاية منها هي التغلب على التحديات، والعودة بهذه لأمم والشعوب الإسلامية إلى دائرة العطاء الحضري كما كانت قبل أن تقهرها هذه التحديات.[2]

2 -الإصلاح التربوي:

يرتكز على توعية الفرد من خلال الخطاب تربوي من أجل توعيته أيضا بقضايا حضارته ومستقبله داخل لإطار يكون الارتكاز يصب حول الأخلاق، فبناء الفرد من الناحية الأخلاقية لايقف عند نجاح الفرد في حياته الخاصة فقط بل يتعدى إلى المجتمع وحضارة إنسانية راقية، للأن الفرد يعتبر بمثابة اللبنة أولى أي القاعدة الأساسية، وبناء على هذا فإن للبنة الاجتماعية مكون أفراد ولتكوين مجتمع لابد من الأفراد أخيار قبل ذلك لأن اللبنة أو الأفراد إذا كانت فاسدة فسوف يفسد المجتمع والعكس صحيح.[3]

3 – الإصلاح السياسي :

لقد أتى الأفغاني إلى الواقع المصري بالفكرة جديد تتمثل في التأكيد على التنظيم السياسي والفكري ،وهذا ما يعتبره استمرارية المشروع الإصلاحي ،وعدم زواله بزوال المصلح أو صاحب المشروع ،ومن هنا يتضح لنا بأن الأفغاني هو أول من قام بتنظيما سياسيا ووطنيا مصريا في العصر الحديث وعمل على تنظيم الحزب الوطني الحر الذي ظهر نشاطه علنيا في سنة 1879م وقد تكونت في صفوفه قيادات مصر السياسية والفكرية في ذلك التاريخ ،فقد كان الأفغاني يدعو بواسطة حزبه إلى قيام حطم دستوري نيابي وطني في مصر يلعب فيه الشعب المصري الدور الأساسي والرئيسي إذا ينطبق فيه حكم من الشعب وبالشعب كمانقول نحن هذه الأيام

[3]- حمد بن صدق الجمال :اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر ،في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري (دار عالم الكتب ،الرياض ،ط1،1994)،ص 64.

[4]- محمد عمارة :الجامعة الإسلامية والفكرية القومية (دار الشروق ،القاهرة ،ط 1،1994)،ص 50

[3] محمد عبده وجمال الدين الأفغاني :رسائل في الفلسفة والعرفان (مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ،ط1،2002)،ص96

رابعا: المشروع الإصلاح عند عبد الرحمن الكواكبي :

1 – الإصلاح الديني :

لقد أفنى عبد الرحمن الكواكبي حياته داعيا إلى النهوض والتقدم بالأمة العربية الإسلامية فقد قام بتشكيل النوادي الإصلاحية والجمعيات الخيرية التي تقوم بتوعية الناس، كما دعا المسلمين إلى تخلي عن خرفات وتحرير عقولهم.

فقد انطلق التجديد من فطرة التدين في الإنسان معتمد في ذلك عن القرآن والسنة وأن غايته بها هي التعمق في علوم الإسلام، فالدين كما أراده الله تعالى وأن الدين الصحيح هو الذي يؤمن بسعادة الدارين الدنيا والآخرة، والدين في نظره هو كافل النظام والنجاح في الحال والسعادة والفلاح في مال.[1]

إتجه الكواكبي مثل باقي علماء عصره إلى ربط العلم ونظرياته في الحضارة الغربية بتفسير آيات القرآن الكريم وكان السبب في هذا التمسك من علماء المسلمين في ذلك الوقت هو من أجل الدفاع عن الإسلام أمام منجزات الحضارة الغربية التي قوامها العلوم الحديثة.

فالإصلاح الديني عند الكواكبي يتلخص ويبرز أساس في تحرير الإسلام من الجمود والخرافة التي علقت به، وإن أخطر آفات الجمود عنده أن المسلمين أصبحوا عبارة عن صورة مقلدة ونسخ مستعارة فهم مسلون لذمة أسلافهم، أي أن المسلمين هم مسلمين بالتبعية حيث أنهم يعتنقون الإسلام انقيادا وتبعية للسابقين عنهم ولذلك من واجب المسلمين في كل زمان ومكان أن يفهموا دينهم أن يعرفوا أحكامه، كما أن الإصلاح في رأي الكواكبي من الناحية الدينية يبقى متمثلا في العودة إلى الإسلام لأنه هو الأساس الذي تنهض به أمتهم.[2]

كما إهتم الكواكبي بخلافة ويرى أنها تقوم على الانتخاب والشورى والتعاون المتبادل بين الأقطار الإسلامية، واضعا بذلك للخلافة شروطا وهي: أن يكون الخليفة عربيا، ويتم الإختياره بالإنتخاب، وأن يعاونه مجلس الشورى تتمثل في جميع الشعوب الإسلامية. [3]

---

[1] عبد الرحمن الكواكبي: الأعمال الكاملة، ت ح محمد جمال طحان، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1،1995)، ص 287.

[2] عباس محمود العقاد: عبد الرحن الكواكبي، (مؤسسة هنداوي، القاهرة، د ط ،2012)، ص 115.

[3] عباس محمود العقاد: عبد الرحمن الكواكبي، المرجع نفسه، ص 134.

لقد درس الكواكبي حال المسلمين حيث أنه كرس جزء كبير من حياته في التعرف عن أحوالهم في جميع أقطار الأرض، فعكف على مطالعة تاريخهم في ماضيهم وحاضرهم ثم قام بنشر دراساته في مقالات المجلات والجرائد التي جمعت في كتابين اسم أحدهما "طبائع الإستبداد والآخر"أم القرى .

2 – الإصلاح السياسي:

إن الإصلاح السياسي يرتكز أساس على الإستبداد الذي يعتبر فعل من أفعال من يملك نوعا من القوة المالية، أو العددية أو الفكرية، ثم يحاول إن يحوز على باقي القوى ليدعمها بالقوة السياسة التي تجعل من القوى الأخرى مجرد توابع تتعاون معها للحفاظ على قوتها.[1]

في حين نرى أن الكواكبي قد استطاع ربط الإستبداد بالحكومة وذلك للانه يعتبرها هي الجهاز الذي يقوم بالسيطر على شؤون الحياة جميعها ولذلك فهو يطالب بضرورة وجود قانون للتسير على مساره الحكومة تحت إشراف الشعب ،هذا وان دل على شيء فإنما يدل على أن حكومة مهما كان ظاهرها العدل في أي لحظة يغفل عنها الشعب تصبح مستبدة .

أما فيما يخص أساليب التخلص من الاستبداد فيرى الكواكبي بأن الاستبداد لا يقاوم بالغصب والقوة وإنما على عكس من ذلك فهو يقاوم باللين بالتدريج ،وذلك ببث الشعور بالظلم وهذا يكون عن طريق التعليم نظرا لأن الإستبداد محفوف بأنواع القوات كقوة الجند وقوة المال وقوة الرجالا الدين وقوة الأغنياء لأن إذا قبل الإستبداد بالقوة فإن نتيجته ستكون فتنة وإنما الواجب مقاومته تكون عن طريق الحكمة من أجل توجيه الأفكار نحو تأسيس العدالة .

[3]عبد الرحمن الكواكبي: الأعمال الكاملة، المرجع نفسه ص 78.

في حين تناول الكواكبي العدالة الاجتماعية من خلال بحثه عن علاقة الإنسان بالإنسان ودور السلطة في تنظيم هذه العلاقة حيث يقول:"إن بحث الإستبداد والمال بحث قوي العلاقة بالظلم القائم في فطرة الإنسان ،ولهذا رأيت أن لا بأس في الإستطراد لمقدمات تتعلق نتائجها بالإستبداد الاجتماعي المحمي بقلاع الإستبداد السياسي ، أما الإستبداد الاجتماعي فيحدث في نظره عندما يجتمع المال في يد الأغنياء بالغلبة والخداع وهو ما يصطلح عليه بالإحتكار الذي يساعد على إيجاد نوع من الإستبداد المالي ،الذي يمهد الطريق لإحداث نظام الطبقي داخل المجتمع بين أفراد الشعب فئة المستغلين والمستغلين

خلاصة القول مما سبق ذكره يتضح لنا بأن الإصلاح السياسي عند عبد الرحمن الكواكبي فإته أرتبط بمعالجة الإستبداد الديني الذي يعيبر عائقا أمام تحقيق النهوض السياسي بالأمة العربية الإسلامية .[1]

[1]- أحمد أمين :زعماء الإصلاح في العصر الحديث (دار الكتاب العربي ،بيروت ،ط1،د س)،ص 82.

المبحث الثالث :موقف محمد عبده من ثنائية الأصالة والمعاصرة :

إن في كل أمة من الأمم أعلام مجددون يهدون الأمة ويرشدونها بالإصلاح والتجديد * فيها فهم في العادة لا يظهرون إلا في فترات متباعدة في الزمن وقد وضح الرسول ﷺ أن الله يبعث على رأس كل مئة سنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها حتى تنهض الأمة وتظل رسالتها العالمية مستمرة متجددة مواكبة لكل زمان ومكان فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول ﷺ قال :[1]

[إن الله يَبْعثُ لهَذه الْأمة عَلى رَأس كُل مائة سنة من يُجدد لها دينها]

أولا- قضية الأصالة والمعاصرة :

إن أهم قضية أساسية في الأصالة المعاصرة هي قراءة تيارات النهضة في العالم الإسلامي ،إذا نجد بأن كل تيار يحمل مواقف وأفكار تُعبر عن رأي صاحبها فالتعليق عليها يقتضي البحث في الخلفيات كل تيار ولكن مع هذا التنوع في تيارات الإصلاح في العالم العربي الإسلامي لايعني ذلك غياب بعض أوجه الشابه بينها كما سيتبين لنا ذلك لاحقا ،فعصر محمد عبده يشهد له العلماء والمفكرون والكتاب والمصنفون بأنه المجدد بحق عصره الذي يعيش فيه ،فقد وظف التراث للأنه يرى فيه خدمة العصر من خلال إخضاع ظواهر العصر الحديثة إلى أحكام الشريعة ،هذا وإن دل على شيء فإنما يدل على أن دعوة محمد عبده الإصلاحية هي دعوة تتفق مع ما دعا إليه الإسلام وما حذر منه القرآن الكريم من سلوك طريق التقليد **مستدلا في ذلك على ما جاء عن حذيفة رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ :[لا تَكونُوا إمعةً ،تقولونَ : إنَ أَحسن الناس أحسنا ،وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم ،إن أحسن الناس أن تحسنوا ،وإن أساءوا فلا تظلموا .

لتوضيح موقع محمد عبده من ثنائية الأصالة والمعاصرة في مشروع الإصلاحي سنتحدث عن بعض أوجه التشابه والإختلاف بينه وبين بعض المفكرين الإصلاحيين:

ثانيا- وسطية محمد عبده بين ثنائي الإصلاح عبد الرحمن الكواكبي وجمال الدين الأفغاني:

إن كواكبي يمثل حالة وسطية بين الأفغاني وعبده ، فهو في مجالات يتفق فيها مع الأفغاني ويختلف فيها مع محمد عبده ،وفي مجالات أخرى يحصل العكس يتفق فيها مع محمد عبده ويختلف فيها مع الأفغاني ،ولقد

[1]- رواه أبو داود : في كتاب الملاحم برقم 4291 وصححه السخاوي في المقاصد الحسنة رقم 149 وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم 599.

إهتم بعض الكتاب والباحثين الذين درسوا حركة الإصلاح الإسلامي أو أرخوا لحياة المصلحين في إظهار المقارنة بين الأفغاني والكواكبي وجوانب الاتفاق والاختلاف بينهما ،إذا نجد بأن الأفغاني قد إكتوى بالسياسة الإنجليزية فصب عليها غضبه ،واستغرقت حملته عليها أكبرقسم في "العروة الوثقى "في حين إكتوى الكواكبي بالسياسة العثمانية فكانت موضع نقده ،فالأفغاني نظر إلى العوامل الخارجية على غراره الكواكبي الذي نظر إلى العوامل الداخلية ،لذلك كانت معالجة الأفغاني للمسائل معالجة ثائر تخرج من فمه الأقوال ناراً حامية ،ومعالجة الكواكبي معالجة طبيب يفحص المريض في هدوء ثم لم يكتب الدواء، فالأفغاني غضوب والكواكبي مشفق، فالأفغاني يدعوا إلى السيف والكواكبي يدعوا إلى المدرسة، فالأفغاني حاد الذكاء حاد الطبع والكواكبي رزين الذكاء هادئ الطبع، إذا وضعت أمامها عقبة تحطأها الأول قبل وتخطاها الثاني بعد، فلا عجب إن كان للأفغاني دوي المدافع وكان الكواكبي خرير الماء يعمل في بطء حتى يفتت الصخر. [1]

إذن فالكواكبي كالأفغاني وعلى خلاف الشيخ عبده، يعطي للنشاط السياسي اهتماما أكثر منه بسائر الشؤون الإصلاحية في الحياة.[2]

إذا كان الكواكبي يشترك مع الأفغاني في مفهوم الجامعة الإسلامية، فإنه يختلف عنه في نظرته إلى الاستبداد حيث يرى بأن الاستبداد لا يقاوم بالقوة والشدة وإنما باللين والتدرج، كما يمكن القول بأن الكواكبي في كتابه "طبائع الاستبداد "يقترب من المزاج النفسي والعقلي عند الشيخ محمد عبده.

من خلال ما سبق نجد بأن الساحة الفكرية لم تخلوا من حركتها الإصلاحية من وجود معارك فكرية بين وجهات نظر مختلفة، ومن بين الشخصيات ندكر السيد جمال الدين الأفغاني الذي يعتبر رائد النهضة السياسية إذا يوصف بأنه عنيف يستحيل ترويضه أو بتعبير آخر نجد بأنه كان خطيبا يثير الجماهير غير أنه لم يحب الكصتابة وهو كذلك فلم يكتب بالفعل إلا القليل .[3]

ثالثا– ثنائية الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده :

لقد تأثر محمد عبد بأستاده الأفغاني وتفاعل معه وحاول أن يتتبع خطاه ويمتثل لتعاليمه ويقتبس أفكاره ، ولكنه لم يصاحب الأفغاني حتى النهاية ،بعد أن تردد في إعتبار الإصلاح السياسي بوابة لكل عملية

[1]- أحمد أمين :(زعماء الإصلاح في العصر الحديث)، مرجع سابق، ص 278.
[2]- مرتضى المطهري: الحركات الإسلامية في القرن الأخير، تر صادق العبادي (دار الهادي، بيروت، د ط ،1982)، ص 57.
[3]- ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة، مرجع سابق، ص 122.

إصلاح كما يرى أستاذه وأدرك أن الإصلاح ينبغي أن يبدأ بالإصلاح التربوي فصارح أستاده جمال الدين بأن الوسائل السياسية للأخير يرجى منها ،ذلك لأن تأسيس حكومة إسلامية عادلة لايتوقف على إزالة الموانع الأجنبية فقط ،وإنه خير لهما لو عكفا على تربية أفراد على ما يجبون في مكان هادئ بعيد ،لا سلطان للسياسة فيه ثم يذهب هؤلاء الرجال بدورهم إلى الأقطار المختلفة ليقوموا بتربية الأجيال القادمة مثل ماربوا هم عليه .[1]

نجد أن محمد عبده قد سعى اللاستقلال عن مشاغل الأفغاني السياسية وذلك بتكثيف جهوده في الحقل العلمي والتربوي والثقافي غير أنه لم يستطع الإنسلاخ من تبعات الشعارات والمفاهيم التي تلقاها من أستاذه .

مما سبق يتضح لنا بأن الجهود الإصلاحية للشيخ محمد عبده وآثاره قد عنيت بالكثير من الدراسات وقد طغى على معظمها الطابع التبجيلي، بالشكل الذي أصبح محمد عبده بالنسبة لمصر والإسلام يعتبر نبي عهد جديد حتى أن بعض الدارسين كانوا قد وصفوه بمؤسس الإسلام الحديث.[2]

[1] - جرجي زيدان: مشاهير الشرق، ج 1(د ن، القاهرة، د ط، د س)، ص 281

[2] - -تشارلز أدمس الإسلام والتجديد في مصر، تر عباس محمود (دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة، د ط، د س)، ص4.

الفصل الثاني:

معالم الإصلاح في مشروع محمد عبد

تمهيد:

يعتبر الإصلاح بنوعيه: الإصلاح الديني التربوي والإصلاح السياسي والاجتماعي من أهم معالم المشروع النهضوي الذي نادى به محمد عبده ودعا المسلمين إلى تطبيقه، كما لعب محيطه دورا في بناء شخصيته وتكوينه العلمي، بالإضافة إلى الظروف التي عاشها والتي ساهمت في بناء منظومته الإصلاحية ومن هنا سنتطرق في هذا الفصل إلى منهج محمد عبده مع دراسة أنواع الإصلاح التي تمثل أسس ومرونة الإصلاح فما هو منهج الذي اعتمد عليه محمد عبده؟ وما هي أنواع إصلاح التي نادى به

المبحث الأول : الإصلاح الديني.

لقد ظهرت جرأة محمد عبده في الإصلاح الديني بشكل كبير فلقد كان من أوائل الذين نادوا بتحرير الفكر من التقليد وفهم الدين على نهج سلف الأمة وأشاد بالعقل واعتبره أفضل القوى الإنسانية وأفضل ما خلق الله ، وهذا راجع للواقع العالم العربي وما انتشر فيه من عادات والتقاليد السيئة المتداولة بين أفراد المجتمع من البدع والخرفات ،وكذا تحجر العقول وانغماسها في الجهل والأمور الساذجة ،إضافة إلى تقليدهم الأعمى للمجتمعات والحضارات الأخرى في مختلف المجالات والميادين ،كل ذلك دفع "محمد عبده" إلى محاولة إصلاح هذا الوضع ،وقد اعتمد في تجديده الديني على الأسس التالية :

❖ تحرير الفكر من قيود التقليد :

ولقد كان هدفه الأول والأهم إصلاح الدين بل اعتبره أسمى أهدافه في الحياة، فالإصلاح الديني عنده يعني [1]تحرير الفكر من قيد التقليد ،وفهم الدين على طريقة سلف هذه الأمة قبل ظهور الخلاف ،والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى ،واعتباره ضمن موازين العقل البشري..... وبناء على هذا النص فإصلاح "محمد عبده "موجه من العقول والقلوب لتحريرها من داء التقليد الذي أصاب الأمم والحضارات الخاملة ،التي فقدت روح العطاء والإبداع ،وبالتالي العودة بالمسلمين إلى الدين الصحيح كما جاء على يدي صاحب الرسالة وأصحابه الأوئل قبل أن يختلف الناس في تأويله وفروعه.[2]

ومنه حاول "محمد عبده "أن يضع تيارا جديدا هو التيار السلفي العقلاني ، الذي حاول من خلاله التخلص من تيارين انتشرا في المجتمع ،هما تيار التقليد والجمود القابع على الصدور والذي استقطب العديد من أبناء الأمة ،كذلك التخلص من تيارالتغريب الذي لا يقل خطورة من التيار التقليدي ،والذي استقطب بدوره مثقفي الأمة الذي انبهرو بالغرب [3]

فهو هاجم التقليد والمقلدين كما فعل أستاذه "الأفغاني "، وفي هذا الصدد يقول :(إلْتائثْ قلوب الجمهور من الخاصة بمرض التقليد ،فهم يعتقدون الأمر ثم يطلبون الدليل عليه ولا يريدونه إلا موافقا لما يعتقدون ،فإن

[1]- أنس عصام الزيدي : "محمد عبده وآراءه الفكرية "،مجلة جامعة الأنبارللعلوم الإنسانية ،العدد1،جامعة بغداد،آذار ،2018م،ص142.
[2]- عبد الرحمان بدوي :الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية ،مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،2005م،ص07.
[3] محمد عبده :رسالة توحيد ،تح :محمد عمارة ،ط1،دار الشروق ،بيروت ،1994م،ص 77.

جاءهم بما يخالف ما اعتقدوا نبذوه ولجوا في مقاومته ،وإن أدى إلى جحد العقل برمته ،فأكثرهم يعتقد فيستدل ،وقلما تجد بينهم من يستدل فيعتقد)[1]

وهكّذا سعى "محمد عبده " للدعوة إلى تحرير الفكر من التقليد من خلال الحث المستمر على ضرورة فهم الدين على طريقة السلف الصالح ،مهاجما في نفس الوقت التقليد والمقلدين ،وفي هذا نلمس دلالة واضحة منه خوفا من أن تنهار العقيدة بسبب طغيان الفكر الغربي لها

❖ بيان أهمية العقل في الإصلاح الديني :

حدد "محمد عبده "طبيعة الإسلام الصحيح الذي يجب على المسلمين التمسك به من خلال قوله الذي ذكرناه سابقا :(تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة السلف الأمة .....واعتباره ضمن موازين العقل البشري)[2]

فأول ما دعى إليه هو إعمال العقل والرؤية والتأمل في كل ما يحيط بنا ، إذا اعتبره الوسيلة الوحيدة التي عن طريقها نصل إلى اليقين .

لقد أعلى "محمد عبده "من شأن العقل واستمد هذه المكانة من القرآن الكريم ،فالعقل مناط التكريم الذي كرم الله به الإنسان وفضله على كثير من خلقه ، فالإنسان يعيش في مجتمع لكنه لم يعط من الإلهام و الوجدان ما يكفي لهذه الحياة الاجتماعية ، فحياة الله هداية الحس والإلهام وهي العقل ،لذلك فإن أول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي والنظر هو وسيلة الإيمان الصحيح .[3]

وبالتالي هنا "محمد عبده "قد أعطى الأولوية للعقل في الإصلاح الديني ، واعتبره من الأمور الأساسية في عملية الإصلاح ، ورأى فيه القوى العظمى التي يتوصل بها الإنسان إلى معرفة خالقه والكشف عن حقائق المجهولة والغامضة ، ولقد كرم الله عز وجل الإنسان بهذه النعمة نظرا لأهميته في حياته وما يقوم به من نصح وتوجيه وإرشاد

❖ الدفاع عن الإسلام :

[1]- عبد الرحمان بدوي :الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية ،مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،2005م،ص 10.
[2]- محمد عبده ،الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ،ج1،المصدر السابق،ص183.
[3]- عبد الرحمان بدوي ، المرجع السابق ،ص 06.

ذلك يكون ضد التأثيرات الغربية ، وضد حملات المبشرين والمسيحين خاصة ،وقد عني الإمام "محمد عبده "فقد بين قيمة الحقيقية للإسلام بالنسبة إلى الأديان الأخرى ،فقد وضحا للمسلمين ضربا من الدفاع عن الإسلام واعتبره حقا دفاع حي إنساني. [1]

وقد بين في رسالته هذه لم يكن يريد إقناع من كانوا مؤمنين بل اتجه بالرسالته إلى كل إنسان يفكر بإخلاص ،فدافع بالأدلة العقلية وبين أن الإسلام قضى بأن لايكون للكون إلا إله واحد يدين بالعبودية له كل مخلوق .[2]

كما تتضح مظاهر الإصلاح الديني عند الشيخ محمد عبده من خلال دعوته إلى ضرورة التعايش السلمي بين الأديان ونبذ أشكال التعصب الناتج عن الصراعات الدينية وضرورة إحلال التسامح الديني ،كما يتجلى الإصلاح الديني في دعوة محمد عبده إلى لزومه الاجتهاد في الرأي وذلك بواسطة العقل ويعتبر هذا الأخير في نظر محمد عبده ذا مقام كبير في الإصلاح الديني يمكننا أن نوجزها في النقاط التالية :

1- إعلاؤه شأن العقل في تفسير القرآن ،باعتبار هذا الأخير كتاب الدين الأول والأساسي ، ورأيه في وجوب أن يطرح الدين في تفسير القرآن تفسيرا حديثا مستنيرا أن يتركوا جانبا رؤية السابقين من المفسرين ، وأن يتزودوا فقط بالأسلحة والأدوات اللغوية ومعلومات السيرة النبوية ومعارف التاريخ الإنساني عن حياة الكون والشعوب التي يعرض لها القرآن الكريم .[3]

فيجب على المفسرين المعاصرين تفسير القرآن وتأويله تأويلا يتماشى مع ما وصل إليه من اجتهاد عقلي تفسيراً جديداً ومعاصر يخلو من تفاسيرا السابقين فهو يرفض التقليد في التفاسير باعتباره يؤدي إلى جمود العقل وتحجرها ، وهو لذلك يحدد منهجه في تفسير القرآن ، ويدعو إليه عندما يخاطب أحد أعضاء جمعية "العروة الوثقى "فيقول له:" دوام على قراءة القرآن وتفهم أوامره ونواهيه ، ومواعظه وعبره ،كما كان يتلى على مؤمنين والكافرين أيام الوحي ،وحاذر النظر إلى وجوه التفاسير إلا لفهم لفظ مفرد غاب عنك مراد العرب منه ،أو ارتباط مفرد بآخر خفي عليك متصلة ثم اذهب إلى ما يشخصه القرآن إليه واحمل

[1]- محمد عمارة :الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين ،المرجع السابق ، ص 78.
[2]- محمد قنديل مصطفى عبد السميع :بحث عن جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وأثرهم في مسار الدعوة في مصر والبلاد الإسلامية ، كلية الشريعة ،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ،1979م ،ص 55
[3]- عبد الرحمان بدوي، الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر 2005، ص 55

بنفسك على ما تحمل عليه وضم إلى ذلك مطالعة السيرة النبوية ، وافقا عند الصحيح المعقول ، حاجزاً عينك عن الضعيف والمبذول ".[1]

2- إعلاء من شأن العقل كقوة من قوة الإنسان عند مقارنته بالقوى الأخرى التي يتمتع بها الإنسان فيعتبر كل النتائج التي يتصل إليها العقل سُبُلاً توصل إلى ذات ، أي أن طريق العقل هو طريق معرفة الله. [2]

فهو يقول:{ان العقل من أجل القوى ، بل هو القوى الإنسانية وعمادها ، والكون جميعه هو صحيفة التي ينظر فيها وكتابه الذي يتلوه ، وكل ما نقرأ فيه فهو هداية إلى الله وسبيل للوصول إليه . }[3]

1- أسس التجديد الديني عند محمد عبده :

أ- تطهير الإسلام من البدع والضلالات والعودة به إلى نقائه الأول ، وفي هذا الصدد نجد الشيخ محمد عبده يقول :"ارتفع صوتي بالدعوة إلى أمرين عظيمين : الأول تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه إلى تأييديها الأولى واعتباره ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه وتقلل من خلطه وخيطه لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الإنساني" .[4]

كما كان الشيخ محمد عبده يهاجم التقليد والمقلدين كما فعل أستاذه جمال الدين الأفغاني وكان يخشى من استمرار التقليد ، وتعذر محو البدع والضلالات التي دخلت الإسلام ، ويخاف على العقيدة أن تنهار بسبب طغيان الفكر الغربي الحديث، ولذلك شن أقصى الحملات على المقلدين :"فإن التقليد كما يكون في الحق يأتي في الباطل ، وكما يكون في الناقع يحصل في الضار ، فهو مضلة يعذر فيها الحيوان ، ولا تحمل بحال إنسان . "[5]

[1]- محمد عبده ، الأعمال الكاملة ،ط1، دار الشروق ، بيروت ،1993م، ص 185.

[2]محمد عمارة ، الإصلاح بالإسلام ، ط1، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ،2006م، ص 169

[3]محمد عبده الأعمال الكاملة ، ط1، المرجع السابق ، ص 186

[4]محمد رشيد رضا ، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، ج1، ط2، دار الفضيلة ، بيروت ، 2006م، ص 11.

[5]- محمد عبده رسالة التوحيد ،تص : عاطف العراقي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ص 27.

ب- إعادة النظر في عرض المذاهب الإسلامية والتوفيق بين العلم والدين فهو يقول في هذا صدد :" لا يجوز أن يقام الدين حاجزاً بين الأرواح وبين ما يميزها الله به من الاستعداد للعلم بحقائق الكائنات المملكة بقدر الإمكان ، بل يجب أن يكون الدين باعثا لها على طلب العرفان مطالبًا لها باحترام البرهان ، فارضًا عليها أن تبذل ما تستطيع من الجهد في المعرفة ما بين يديها من العوالم .....ومن قال غير ذلك فقد جهل الدين وحتى عليه جناية لا يغفر عليها رب العالمين ."

ودعا إلى توازن بين العلم والإيمان ، فقال :"إلا أنه من واجب العقل أن يتواضع أمام الله وأن يتوقف عند حدود الله فليس هناك أي حاجز ليعرقل نشاطه ."[1]

ج- الدفاع عن الإسلام ضد التأثيرات الغربية وضد الحملات المبشرين المسحيين خاصة فهو يقول :"الشريعة الإسلامية عامة باقية إلى آخر الزمان ،ومن لوازم ذلك أنها تنطبق على مصالح الخلق في كل زمان ومكان مهما تغيرت أساليب العمران وشريعة هذا شأنها لاتنحصر جزئيات أحكامها ، لأنها تتعلق بأحوال البشر ما وجدوا ، ولا يحيط بذلك علما إلا عالم الغيب والشهادة ، وهو الذي جعل أساسها حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال ،إذ مصالح البشر في كل آن مبنية على حفظ هذه الأشياء التي منها السعادة في المعاش والمعاذ."[2]

- الإصلاح أساليب اللغة العربية :

لقد كانت اللغة العربية تعاني الركاكة والضعف بالغ الخطورة مما دفع بمحمد عبده بالنهوض باللغة العربية كعامل أساسي في سبيل الإصلاح الديني ،باعتبارها لغة القرآن بصفة خاصة ولغة الناس بصفة عامة .

حيث نجد محمد رشيد عبده ، يقول في هذا الصدد بقلم محمد رشيد رضا :"إن الأمر الثاني فهو إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير سواء كان في المخاطبات الرسمية بين الدواوين الحكومة ومصالحها أو فيما تنشره الجرائد على كافة منشأ أو مترجماً من لغات أخرى أو في المراسلات بين الناس ."[3]

كما أنه يرى أن جمود الذي أصاب المجتمع الإسلامي قد أثر على جانب اللغوي لهذا المجتمع ، فضعف الإجتهاد اللغوي والفكري لدى المسلمين وانعكس عليهم بنتائج سلبية على لغتهم وكتابتهم فلوحظ أن

[1] علي المحافظة ، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ، د ط، دار اقرأ، لبنان ، 1986م.

[2] محمد رشيد رضا ، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ،ج1، المرجع السابق ،ص 64.

[3] محمد رشيد رضا ، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، ج1، المرجع السابق ، ص 11.

اجتهادهم الفكري قد اقتصر على الشروح والتحقيقات لكتب السابقين لهم دون تمييز بين النافع والضار ، وهنا نجده يقول :"فلما لم يبقى للمتأخر الا أخذ بما قال للمتقدم قصر المحصلون تحصيلهم على فهم الكلام من قبلهم ،واكتفوا بأخذ حكم الله منه دون أن يرجعوا إلى دليله ، ولم ينظروا في الدليل فرأوه غير دال بل دالاً لخصمه ...."[1].

ومعنى هذا فقد بدأ محمد عبده قيد تنفيد مشروع الإصلاح اللغوي والأدبي ، حيث أخد يكتب في جريدة الأهرام بأسلوب متأثر بالكتب الأزهرية ، وخاصة بما ألف في الفلسفة الإسلامية ، وبما هو شائع في ذلك العصر من السجع والازدواج وبمقدمات طويلة قبل الدخول في الموضوع ثم أخد يقوي أسلوبه ويصح ويزداد حركة وقوة من روح أستاذه جمال الدين الأفغاني ، ويظهر ذلك جليا في جريدة العروة الوثقى ، ثم سر قلمه وتدفق من طول ما كتب وعالج ، حتى بلغ غايته في مقالاته ، حيث تحمل بجمال البساطة وتدفق المعاني ، في سلاسة وقوة كما نظر إلى أساليب الكتاب فحاول إصلاحها ما استطاع ، فكان يقدم نماذج الكتابة أيام فقد كان مشرفا على الوقائع المصرية بما يكتبه هو وأصحابه فيها كما كان يلفت نظر الجرائد إلى سوء أسلوبها ،ويلزم أصحابها أن يختا

يختاروا من يرفع الكتابة فيها .

2- موقف محمد عبده من الممارسات الدينية :

يبرز موقف محمد عبده من الممارسات الدينية نجده بأنه قد قام بتصحيح العقائد الإسلامية التي تسربت إليها البدع والخرافات ، كما نجده كذلك قاوم وحارب بعض الظواهر الاجتماعية المرتبطة بالدين مثل :تقديس الأولياء الصالحين والتمسح بقبورهم بعد وفاتهم وفي الممارسات الدينية فقد دعا أيضا إلى الحرية السياسية والمتمثلة في الشورى ، وأيضا دعا إلى حرية الدين أي حرية الإنسان في عبادة الله أو عبادة غير الله ، ثم أخد يحارب البدع و الخرافات الدينية التي أفسدت روح الإسلام والحياة الاجتماعية في مصر خاصة والشرق عامة ، فدعا محمد عبده إلى تنقية العقائد مما طرأ عليها من منكرات كتقديس الأولياء ، ولزوم المقابر ، والتضرع والدعاء والذبح لغير الله ، وغير ذلك يوجد الكثير من المعتقدات الزائفة والتي لا أساس لها من الصحة ولا تمتُ بصلة إلى تعاليم الدين الإسلامي الحنيف . [2]

[1] محمد عبده ، الإسلام بين العلم والمدينة ،تح : طاهر الطناجي ، دار الهلال ، القاهرة ،1960م، ص 70.

[2] محمد صبري : تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم ، دار الكتب الصرية ، القاهرة ، ط1، 1926م ، ص 188

3- موقف محمد عبده من السلطة الدينية:

نجد بأن محمد عبده رفض السلطة الدينية ، ولكنه لم ينادي بالعلمانية كما أراد بعض المجرحين تشويه صورته ، وإنما على العكس من ذلك فقد نادى بالسلطة المدنية الإسلامية ، فيرى بأن حاكم أو خليفة ليس له سلطة دينية طبعا هذا لأنه ليس ممثل الله في الأرض وهو ليس معصوما من الخطأ فهو شخص عادي كباقي الناس ، انطلاقا من هذه الصفات فانه يتضح لنا أن الحاكم ليس له أية سلطة دينية يحكم بها على عقائد الناس بالفساد أو الصلاح كما يفعل الباباوات في أوروبا ، كما أن الرعية أو عامة الناس حسب محمد عبده يحق لهم استبدال حاكمهم في حال ما وجدوه ليس نافعا ولا يقوم بخدمة مصالحهم على أكمل وجه .[1]

4- موقف محمد عبده من القرآن الكريم والرسول ﷺ :

أ- القرآن الكريم :

لقد كانت رؤية محمد عبده للقرآن الكريم وهذا وإن دل على شيء فإنما يدل على أنه ليس كغيره من الكتب بل هو كتاب الله المقدس الذي انزله على خير البشرية محمد ﷺ ليهدي به الناس إلى إتباع الطريق المستقيم .

إعلاء من شأن العقل في تفسير القرآن ذلك لأنه الكتاب الأول والأساسي للدين ، مؤكدا على الذين يريدون تفسير القرآن تفسيرا حديثا مستنيرا وجب أن يعودوا للتفسيرات السابقة التي سبقتهم في تفسير القرآن وأن يضيفوا عليها الجديد فالتفسير لا يجب أن يتوقف عند الحد الذي توقف فيه المفسرون السابقون بل وجب لاستمرار والتتابع فيه .[2]

ب- الرسول ﷺ :

يرى محمد عبده بأن محمد رسول الله ﷺ لم تكن رسالته محصورة ومخصصة للدعوة إلى الإسلام فقط ، بل تعدت ذلك حيث أن هدفه الأسمى كان تأسيس مجتمع أيضا قوامه الأساسي إتباع كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وهذا يدل على أن كتاب الله هو الذي يقوم بتنظيم شؤون البشرية والقيام بضبط وتسير سلوكها ، وأنه

[1] محمد عبده : الإسلام والنصرانية بين العلم والمدينة ، د ن ، القاهرة ، ط5 ، 1938، ص 89.
[2] عبد الرحمن بدوي : الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ص 67_68.

لو ترك البشر دون ضوابط وقيود تنظمهم لأساءوا لأنفسهم ولغيرهم بسبب عدم وجود حدود للنظام الأخلاقي عندهم ، فيصبحون أحرار الإرادة وعند ذلك سيصبح الكون بلا نظام هكذا عبثا . [1]

إن منهج محمد عبده في الإصلاح الديني نلخصه في عناصر كالتالي:

العودة إلى النبع الصافي أو السلف الصالح ، ونعني به الأوضاع التي كان عليها المسلمون الأوائل مع ضرورة التركيز على تطهير الفكر والنفس من الشوائب التي علقت بها من بدع ، والخرفات ، وتقليد أعمى ...الخ .

والحث على استخدام العقل حيث رأى فيه مظهر التفكير الذي حث عليه جوهر الإسلام بفهم أسسه وبيانها ، ودعوة إلى الاستناد إلى أدوات تقوي الصلة بين الإسلام ومتطلبات العصر ، ومن خلال هذا يتضح لنا بأن التجديد الذي أراده محمد عبده لم يكن يقف فقط عند تنقية الدين من البدع والخرفات ، وإنما كان تجديد وإنما كان تجديدا كاملا متكاملا أي أن فكره الإصلاحي لم يبقى مقتصرا فقط على الجانب الديني بل تعداه كذلك إلى إصلاح الجوانب الأخرى من تربية وسياسة و أوضاع اجتماعية ....الخ .

[1] -ألبرت حوارني : الفكر العربي في عصر النهضة ، تر كريم عزقول ، دار النهار ، بيروت ، دط ، دس ، ص 182.

المبحث الثاني : الإصلاح التربوي

أولا : مفهوم التربية : كان المفهوم الشائع في تلك الفترة يتمثل في معنيين :

- أنها عملية مرادفة لتهذيب الخلق ، كأن يسلك التلميذ سلوكا يستم بالوقار والهدوء وعدم استخدام الألفاظ القبيحة ، والإلتزام بطاعة الأوامر وحفظ النظام .

- أنها عملية معرفي ويتمثل في شحن الذهن بالمعارف الموجودة في كتب التراث وتسمعيها .

ونتيجة لذلك لم يكن هناك اهتمام بالتربية الجسمية والتربية الوجدانية ، وأهم لشأن التوجيه الاجتماعي للتربية ، ويمكن إبراز مفهوم التربية عند الأستاذ الإمام محمد عبده وما فيها من جوانب تجديد كما يلي :

1- التربية عملية فردية :

أكد الأستاذ محمد عبده على أن التربية عملية إنماء الفرد مع توجيه هذا النمو وجهة تفيد المجتمع وفي ذلك يقول :" إن التربية هي عملية إعداد الفرد للمعيشة الصالحة في نفسه ومع الناس الذين يعيشون معه فإذا تربي الإنسان لحب نفسه لأجل أن يحب غيره ، وأحب غيره لأجل أن يحب نفسه . [1]

وتنادي التربية الحديثة بنفس هذا مبدأ فهي تنظر إلى التربية على أنها عملية تعمل على أنماء الفرد إلى أقصى حد تمكنه قدراته واستعداداته ، مع توجيه هذا النمو وجهة اجتماعية بحيث يكتسب الفرد الطابع الاجتماعي لهذا المجتمع حتى يستطيع أن يحيا فيه ، وهو ما يدل على أن الأستاذ الامام كان سابقا لعصره في الفكر التربوي .

2- لتربية عملية متكاملة :

فقد أكد محمد عبده على ان" التربية ينبغي أن تكون عملية شاملة متكاملة للأن نمو الإنسان يتم بطريقة متكاملة من النواحي البدنية والعقلية والنفسية في آن واحد وهذه الجوانب يؤثر ويتأثر بعضهما بعض ".[2]

[1] محمد رشيد رضا ، تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده ، ج 1، القاهرة ، مطبعة دار المنارة ، 1931، ص 851.
[2] - محمد عبده ،تفسير القرآن الكريم ، الأعمال الكاملة امام محمد عبده ، ج 3 ، حققها وقدم لها محمد عمارة ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1980ص 233.

هنا يتفق رأي الأستاذ محمد عبده مع مفهوم الحديث للتربية الذي يقوم على أن التربية عملية متكاملة لا تقتصر على جانب واحد من جوانب الشخصية الانسانية ، وعلى هذا الأساس ينبغي أن تشمل التربية جوانب الإنسان الجسمية والعقلية والعاطفية والاجتماعية والخلقية .

3- التربية هي الحياة :

التربية بمفهومها الحديث هي خبرة حية يكتسبها الانسان من خلال تفاعله مع البيئة التي يحيا فيها ، وقد عبر الأستاذ الامام عن هذا المفهوم قائلاً: " كل إنسان لا ينضج ولا يستو إلا من خلال التجارب الحياة وشدائدها ، فالشدائد والتجارب تخاف الرجال وتصنع الأبطال ."[1]

4- لتربية عملية مستمرة :

أصبحت التربية عملية المستمرة مطلبا هاما من مطالب المجتمعات الحديثة ومبدأ هاما من المبادئ التي تأخذ بها النظم التعليمية الحديثة ، حيث أصبح من الضروري للأفراد مواصلة تعليمهم للحاق بمطلب الحياة المتغيرة من حولهم .

وعبر محمد عبده عن هذه الحقيقة بقوله :"ينبغي أن يسعى الإنسان إلى مطلب العلم والمعرفة واستكناه الحقائق طوال حياته ، وأكمل الناس علما وفهما الذين لا ينقطعون عن طلب العلم طوال حياتهم ."[2]

5- التربية عملية متغيرة :

فالنظرة الحديثة للتربية تقوم على أنها عملية متجددة تتغير بتغير الأهداف وتغير الزمان والمكان ، مما يجعلها ذات أنماط متعددة ، وقد أكد الأستاذ الإمام محمد عبده على هذه الحقيقة بقوله :" إن التربية وسيلة لتحقيق غرض معلوم وتتغير وسائل التربية بتغير الزمان والمكان ".[3]

[1]- رشيد رضا ، تاريخ الأستاذ امام محمد عبده ، ج 7 ، القاهرة ، مطبعة المنارة ، 1931، ص 133
[2]- محمد البهي : الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي ، القاهرة ، مطبعة مخيرة ، 1957، ص 188.
[3]- أدموند ديمولان : سر التفوق الانجلو سكسون "بالفرنسية " ، ترجمة لمحمد فتحي زغلول ، القاهرة ، 1932، ص 88.

6- إصلاح التربوي عموما :

هو عبارة عن عمل مخطط ومقصود يتطلب جهدا ومالاً وثقافة وبيئة مهيأة لممارسة ما يؤدي إليه من تغير أو تجديد ، ولهذا فإن من يدعون إليه أو يقومون به لا يتحركون إلا بفعل الأزمة وضرورة الإصلاح التي تفرض نفسها وللضرورة .

7- أهمية التربية.

تتضح أهمية التربية لدى الأستاذ امام محمد عبده كما ذكرنا في وجوب أن يكون لها السبق والأفضلية على غيرها من الوسائل الأخرى في إصلاح المجتمع وتحقيق استقلاله ، وقد وجدت هذه الفكرة في أواخر القرن التاسع عشر تأييدا قويا لها في كتاب فرنسي أصبح الآن منسيا ، لكنه أحدث ضجة كبيرة في ذلك الحين وهو كتاب "سر التفوق الأنجلو سكسون"، لديمولان ، وهو في هذا المؤلف يرجع أسباب استيلاء الشعوب الأنجلو سكسونية على العالم ووصولهم إلى أعلى درجات القوة والازدهار بين جميع شعوب العالم إلى التربية ، حيث كان أسلوب التربية لديهم يرتكز على دعامتين هما : تدريب الإنسان على العيش في العالم الحديث ، واحترام حرية الإنسان وتنمية روح المبادرة الفردية لديه .[1]

كان غايته في ابراز أهمية التربية ليست تللك النظرة الضيقة التي تقتصر وظيفتها على تعليم التلاميذ بشحن أذهانهم بالمعلومات المعارف ، وإنما نظر إليها من منظور واسع على أن لها قيمة في حل مشكلات المجتمع لتحقيق تماسك فيما بينهم ففي رأيه أن تربية حقيقية والتي تستحق الدراسة والتأمل والانتباه فهي تربية تستند إلى الدين وتنبع من تعاليمه .

ثانيا : مفهوم التعليم

اعتبر محمد عبده التربية والتعليم هو الأساس الذي يبنى عليه تقدم الأمة العربية الإسلامية وهنا يظهر اختلافه مع الأفغاني كما قال على لسان محمد عمارة ... إن السيد جمال الدين الأفغاني كان صاحب اقتدار عجيب لو صرف وجهه للتعليم والتربية لأفاد الإسلام أكبر فائد .[2]

[1] أموند ديمولان ، سر التفوق لانجلز سكسون "بالفرنسية " ترجمة أحمد فتحي زغلول ، القاهرة ، 1922، ص 88.

[2] محمد فوزي عبد المقصود الفكر االتربوي للأستاذ الإمام محمد عبده وآلياته في تطوير التعليم ، ص 44.

معنى ذلك أن محمد عبده اتجه عكس الأفغاني الذي اتجه إلى السياسة وتخلى عن التربية وتعليم حيث نجد أن محمد عبده سعى إلى نشر التربية وتعميم التعليم حتى يحافظ الناس على أخلاقهم وعقائدهم وآدابهم .

قام محمد عبده بتقسم الناس في التعليم إلى ثلاثة طبقات و هي :

1- الطبقة الأولى : هم أولاد المسلمين الذين يوقف بهم عند مبادئ الكتابة والقراءة وشيء من الحساب كي ينتفعوا بهذه العلوم في معاملاتهم . ولهذا ينبغي أن توضع لهم كتب التعليم الديني على الوجه الآتي :

أولا : كتاب مختصر في العقائد الإسلامية المتفق عليها عند أهل السنة بلا تعرض للخلاف بين الطوائف الإسلامية .

ثانيا : كتاب مختصر في الحلال والحرام من أعمال وبيان الأخلاق الخبيثة والصفات الطيبة .

ثالثا : كتاب في التاريخ مختصر يحوي على مجمل سيرة النبي ﷺ وسيرة أصحابه .ثم يتبع ذلك بتاريخ الخلفاء الراشدين .

2- الطبقة الثانية : هم أبناء المسلمين الذين ينتظمون في المدارس السلطانية والشرعية والعسكرية والطبية وما يتلوها ، والذي يهم الدولة منهم أن يكونوا أمناء لها ، حفاظاً لما استحفظوا عليه م شؤونها . وهذه الطبقة السابقة في مبدأ التعليم الديني يزاد لها . بعدما تقدم . كتب أعلى من تللك الفنون نفسها فتوضع لهم في المدارس العالية والإعدادية على الوجه الآتي :

أولا : كتاب يكون مقدمة للعلوم يحتوي على المهم في فن المنطق وأصول النظر ، وشيء من آداب الجدل .

ثانيا : كتاب العقائد يوضع على قواعد البرهان العقلي والدليل القطعي مع التزام التوسط إلا أن يتوسع فيما بينا وبين النصارى لإيضاح ما تستلزمه عقائدهم بوجه أجلى وأوضح .

ثالثا : كتاب يفصل فيه الحلال والحرام ، وأبواب الفضائل والرذائل ببيان أكمل مما في البداية ، وتوضيح لأسباب الأخلاق وعللها وآثارها على وجه يقنع به العقل ، وتطمئن إليه النفس .

رابعا : كتاب التاريخ ديني يحتوي على تفصيل سيرة الرسول ﷺ وسيرة أصحابه ، الفتوحات الإسلامية العظيمة في القرون المختلفة ، وما جاء به الخلفاء العثمانيون من ذلك ، والإتيان على كل هذا من وجه ديني محض .

3- الطبقة الثالثة : هم أبناء المسلمين الذين عقلوا ما تقدم من كتب الطبقتين السابقتين ، وكشف الامتحان امتيازهم في فهمها ، وتخلفهم بالصفات المقصودة بوضعها . فانتخبوا لذلك على أن يرقى بهم الدرجة العليا من العلم والعمل ، حتى يكونوا عرفاء الأمة ، وهداة الملة ، فيناط بهم التعليم الديني في المدارس العالية والإعدادية . [1]

قام محمد عبده بهذا التقسيم بحكم على أن الناس يختلفون في قدراتهم العقلية ولا يمكن لأي طبقة من تللك الطبقات أن تحل محل الأخرى لأن كل واحدة لها مميزات جعلتها تحتل المكانة التي هي فيها ، وهنا نجد محمد عبده يعتمد على نفس التقسيم الطبقي الذي وضعه الفيلسوف اليوناني أفلاطون للمجتمع عندما قسم الناس إلى ثلاثة طبقات حسب قدارتهم العقلية والعلمية فكلاهما ركز على طبقة الأولى و اعتبروها العنصر في تكوين الناشئة .

ثالثا: التربية والتعليم من الفرد إلى المجتمع:

لم ينظر محمد عبده إلى التربية تلك النظرة الضيقة التي تقتصر وظيفتها على التعليم التلاميذ بشحن أّذهانهم بالمعلومات والمعارف، وإنما نظر إليها من المنظور اجتماعي على أن لها قيمة في حل المشكلات المجتمع لتحقيق التماسكه. [2]

كما أن التربية التي كان يدعوا إليها محمد عبده ويراها من الأمور التي تستحق الدراسة والتأمل والانتباه فهي التربية تستند إلى الدين وتتبع تعاليمه.

كما نجد بأن محمد عبده يرى بأن أيَّ إصلاح للشرق والشرقين لابد أن تستند إلى الدين حتى يكون سهل القبول شديد الرسوخ عميق الجذور في نفوس الناس .[3]

فلم يكن محمد عبده يرى ضرورة إسناد التربية إلى الدين خاصا بالتربية العثمانية ولا بالتربية السورية اللذين أقروا لإصلاح التعليم في كل منها لائحة خاصة، وإنما كان كذلك رأيه أيضا عندما عرض لإصلاح التربية في مصر لأن هذا كان رأيه كما أسلفنا الذكر بالنسبة لكل الشرق وجميع الشرقين.

ولقد رأى محمد عبده أن صلاح حال المسلمين وإصلاح مجتمعاتهم يكون بإصلاح الأنفس أولاً، وقد استقى فكرته هذه من كتاب الله تعالى: ﴿ إِنَّ الله لا يُغَيِّرَ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّروا مَا بِأَنْفُسِهِم﴾. [4]

---

[1] محمد عمارة ، الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين ، دار الشروق ، ط2 ، القاهرة ، 1988، ص 228.
[2] عبد الرحمان البدوي: الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د ب ، ط 1 ، 2005 ، ص 83
[3] محمد عبده: الأعمال الكاملة، ج1 ، ت ح محمد عمارة ، دار الشروق ، بيروت ، ط3 ، 1993 ، ص 106.
[4] سورة الرعد، الآية 11.

يرى أن تقدم المجتمع وارتقائه لا يتحقق إلا بالتربية، ومن هنا نفهم لم أقلع محمد عبده عن الأساليب الثورية التي لم تحقق شيئاً وآثر أسلوبا أبطأ ولكنه أبقى أثرا وهو الطريق التربية، المتمثلة في تربية الشعب وتربية القادة وتربية الشعب لفهم الحياة والسير فيها والتربية القادة لتوجيه الشعب في قراه ومدنه.

هكذا نجد أن محمد عبده دعا في الفترة التي كان يعمل فيها بجريدة الوقائع إلى التربية والتعليم كبداية لكل إصلاح وعارض المعارضين للحكومة والمطالبين بأكثر من ذلك، ويبدوا أن الباحثين استدلوا من هذا على أن محمد عبده غير في فكره الإصلاحي حالما انفصل عن أستاذه جمال الدين الأفغاني.

فبتالي واجه محمد عبده مشكلة الإصلاح بعد أن أدرك حقيقة الأزمة الحضارية الإسلامية ووجد من الضروري أن ينظر إليها بوصفها مشكلة اجتماعية.[1]

وهذه الأخير يشير محمد عبده إلى أن مرجع الارتقاء في عادات الأمة وأخلاقها هو التربية لا القانون ، فالتربية هي التي تنمي وتصلح أما قانون فهو يحفظ ويحرس .

وإن أبرز إصلاحات التربية عند محمد عبده تتمثل في:

. الجمعية الخيرية الإسلامية: إن الغرض الأول من تأسيسها هي التربية أولاد الفقراء واليتامى تربية يحافظون بها على عقائدهم وآداب دينهم ويستعينون بها للتحصيل أرزاقهم، ولم تنشأ الجمعية لمقصد أعلى من هذا في مدارسها كأخذ الشهادات والاستعداد للوظائف بل إن أهم هدف كانت تسعى إليه هو أن تنزع من النفوس الاعتقاد السائد بأن فائدة التربية المحصورة فقط في العمل في الحكومة ، وهذا الفكر هو الذي كان مستوليا على الأمة آنذاك [2]

كما أن المدارس الجمعية وضعت لتعليم الأولاد الفقراء ما يجب أن يتعلمه كل إنسان وهو أنه من الضروري أن يتعلم القراءة بلغة بلده ويتعلم أحكام دينه ويتربى عليها قولا وعملا، وكذلك وجب تربية الإنسان على تعلم الحساب والتاريخ وحفظ الصحة وغيرها من مختلف الآداب والسلوكيات الحميدة التي تقيده في دينه ودنياه.

أما المدارس التي أراد محمد عبده إصلاحها نذكرها كتالي:

[1] مالك بن نبي : مشكلات الحضارة ـ وجدهم ه العالم الإسلامي ـ ت ح عبد الصبور شاهين ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، د ط ، 2002 ، ص ـ ص 53 ـ

[2] مفيدة محمد إبراهيم: عصر النهضة العربية الحقيقة والوهم، دار مجدلاوي للنشر ، عمان ، ط 1 ، 1999، ص 284.

❖ **المدارس الأميرية:**

فلقد تكلم محمد عبده عن المدارس الأميرية وأنه ليس فيها شيء من المعارف الحقيقية ولا التربية الصحيحة ثم بين رغبة الناس فيها ليستريحوا من نفقة أبنائهم، وأن يتعلموا ما يؤهلهم للقيام بعمل من أعمال الحكومة التي تستند إليه.[1]

❖ **المدارس الأجنبية:**

شرح محمد عبده ضعف هذه المدارس في التربية العمومية ويرجع ذلك إلى اختلاف مذاهب المعلمين والمتعلمين، فقليل من المصريين من يرغب في تعليم أولاده فيها نظرا لعدم اهتمام المعلمين بالمتعلمين، وعموما هذه المدارس فقد لاقت نفورا من قبل المسلمين.

❖ **الكتاتيب الأهلية:**

يرى محمد عبده بأن الكتاتيب الأهلية منتشرة في القرى المختلفة هي الأساس الرئيسي للمدارس الأميرية إذا أن صلاح هذه المدارس لا يكون إلا بصلاح هذه الكتاتيب، وفي الوقت نفسه يصف حالة الفقهاء في تلك الكتاتيب بأنهم لا يعرفون شيئا عن حفظ القرآن الكريم لفظا لامعنى مقترحا.[2]

❖ **المدارس التجهيزية والمدارس العالية:**

يرى محمد عبده بأن التربية مفقودة في هذه المدارس والأحياء التربية فيها، وجب تعليم المتعلمين العقائد الدينية على الأصل الصحيح أي على الطريقة الصالحة من أجل أن يعمل التلاميذ لاحقا بما اكتسبوا وتعلموا في هذه المدارس.

رابعا: الإمام محمد عبده وإصلاح الأزهر:

أطلق محمد عبده على الأزهر أمام بعض خواصه ثلاثة ألفاظ : (الاصطبل ، المارستان ، المخروب ، . لفظ محلي مصري) . وقد أجاب محمد عبده الشيخ محمد البحيري على جملة له : " أنت قد تعلّمت في الأزهر " بقوله : "إن كان لي حظ في العلم الصحيح الذي تذكر فإنني لم أحصله إلا بعد أن مكثت عشر سنين

[1] محمد عبده :الأعمال الكاملة ، ج 3 ، المصدر نفسه ، ص 177.
[2]- حمد بن صادق الجمال: اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، مرجع سابق ص 247.

أكنس من دماغي ما علق فيه من وساخة الأزهر وهو إلى الآن لم يبلغ ما أريد له من النظافة ". هذا هو الانطباع الذي يختزنه محمد عبده في نفسه عن الأزهر ، لذلك كان لابد من أن يفكر في إصلاحه .

ركز الشيخ محمد عبده في بداية مشروعه الإصلاحي على الأزهر ، وها نجده يقول :" ..... إنّ نفسي توجهت إلى إصلاح الأزهر منذ كنت مجاورًا فيه ، بعد التلقي عن السيَّد جمال الدين الأفغاني ، وقد شرعت في ذلك فحيل بيني وبينه ، ثم كنت أترقب الفرص فما سنحت لي إلا استشرقت بها وأقبلت عليها إذا ما صادفت المواضيع لويت وصبرت مترقبًا فرصة أخرى ". [1]

وقد سعى محمد عبده إلى استعادة مكانة الأزهر لأنه كان يعتقد بأنه هو الكفيل بنشر الدعوة الإصلاحية للأمة الإسلامية وكذا تكوين العقل الإسلامي ، فأزهر عنده ليس مجرد مكان للتدريس بل يعتبر ذا أهمية كبيرة في سبيل إيقاظ الأمة .

رأى محمد الإمام في الأزهر الطريقة المؤدية لتحقيق التربية الصحيحة والسير بالأمة نحو التقدم في محاولة منه لإحيائها بشكل معاصر ، وكذلك هدف إلى تحرير الفكر من الجمود والتقليد وإحياء العلوم وتربية للعقل وتهذيب للخلق . [2]

إن الإصلاح الذي كان ينشده الشيخ محمد عبده نوعان : إصلاح صوري وإصلاح معنوي ويشمل هذا إصلاح جميع ميادين : (الإدارة ، المكتبات) وتتمثل هذه الإصلاحات في النقاط الآتية :

أ – إصلاح الأزهر لابدَّ أن يكون بالتدرج في تغير نظام التدريس وجعله في ابتداء تحت قواعد ساذجة قريبة من الحالة الحاضرة فيها. [3]

ب – إنَّ كل من أدرج اسمه في جدول الطلبة يلزم بحضور الدروس وإلاَّ حُرمَ من درجة امتياز.

ج – يجب أن يسأل الأستاذ طلبته عن مدى استيعابهم للدروس.

د– تغير برنامج الدروس بزيادة أصناف الكتب بحيث يدخل في تدريس الآداب الدينية ويكلف كل الأستاذ بتعهد أخلاق تلاميذه لتكون مطبقة على تللك الآداب بقدر الإمكان فيجعل شيخ الجامع رقيبا على الأساتذة والتلاميذ في ذلك .[4]

---

[1] محمد عبده : الأعمال الكاملة ، ج3 ، تح : محمد عمارة ، ط1 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1993 ، ص 193 .

[2] قلعي قدري : ثلاثة من أعلام الحرية ، تر : سعد زغلول ، دار الكتاب الغربي للتأليف الترجمة ، بيروت

[3] أحمد صلاح زكي :أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث ، ط 1 ، مركز الحضارة العربية ، القاهرة ، 2001 ، ص 116 .

[4] محمد عبده الشيخ : بحوث ودراسات عن حياة محمد عبده وأفكاره ، تح : عاطف العراقي ، د ط ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، مصر ، 1995 ،.

هـ – جعل مدة دراسة علوم المقاصد كالفقه والتفسير أطول من مدة دراسة علوم الوسائل كالنحو والصرف وعلم الأخلاق والتاريخ وعلم تقويم البلدان وعلم الحساب والجبر. [1]

و – تعديل نظام الامتحان النهائي وشروطه وكل ذلك يكون بطرق بسيطة لا تستلفت الأذهان إلى شيء خلاف مصلحة وتفصيلها ويكون في لائحة مخصوصة. [2]

وتعتبر هذه أهم إصلاحات التي قدمها محمد عبده للأزهر وفي هذا الصدد نجده يقول بقلم محمد رشيد رضا : " إني بذرت في الأزهر بذرًا إما أن ينبت ويثمر ويأتي أكله مغدي للعقل والروح فيحيا به الأزهر ، وإما أن يقضي الله على هذا المكان في فضاءه الأخير ". [3]

وهكذا كانت تتم عملية الإصلاح عند الأستاذ محمد عبده حيث حاول الإحاطة بكافة الأمور التي من شأنها استعادة مكانة الأزهر والاستفادة منه في تحسين أمور الدولة والنهوض بحال الأمة.

1 – دار العلوم:

أنشأ هذه المدرسة محمد علي باشا واشترط أن يكون تلميذتها من الأزهر. درس محمد عبده في هذه المدرسة ورأى إثرها مجموعة من العراقيل يجب أن تزال حتى تتطور المجتمعات العربية وذلك عن طريق عرضه لمجموعة من الإصلاحات التي يمكننا حصرها في النقاط التالية:

1– إصلاح بروجرام وحذف بعض معلومات وزيادة بعض العلو الآداب الدينية ، وفن أصول النظام مع تعلقه بالدين .

2– تغيير طريقة تفسير القرآن الكريم وتعلم الأحاديث النبوية.

3– اختيار معلمين صالحين للقيام بالعمل الموصل إلى الغاية المطلوبة.

4– تعيين ناظر للمدرسة قد ملأ قلبه وغمر فكره الميل إلى المقصد الذي وضعته له المدرسة عالما بالدين ولغته موثوقا به عند عامة الناس . [4]

5– إعطاء تلاميذها بعد نهاية التعلم حق التدريس في الأزهر.

---

[1] محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، ج 1 ، ط 2 ، دار الفضيلة ، بيروت ، 2006 ، ص 544
محمد عبده : الأعمال الكاملة ، تح : ج1+3، ط1 ، دار الشروق ، بيروت ، 1993، ص 117.

[2] محمد رشيد رضا : المرجع السابق ، ص 567.

[4] محمد فوزي عبد المقصود : الفكر التربوي للأستاذ الإمام محمد عبده في تطوير التعليم ، د ط ، ص ـ ص 196 - 198.

6- توسع المدرسة إلى ما يسع إلى مئة تلميذ، حتى يكثر انتشار العلم والإقبال عليه.

7- أن يزيد في مدتها سنة بعد الدراسة للتمرين على التعلم في نفس المدرسة.

8- وهو أهم ما يجب أن يكون تحت نظام شديد في تهذيب وملازمة عمل بما يعلمون.

9- أن تكون وظائف التدريس في المدارس والمكاتب منحصرة فيهم (خريجي الأزهر).

10- أن تكون درجتهم في الوظائف على حساب أدبهم واقتدارهم على التأديب ، بغرض التربية في المدارس .[1]

11- أن يكون للموظف ما منها في المدرسة سلطة تامة على تهذيب التلاميذ وتربية ونفسية وتقوية أخلاقهم وطبائعهم وأرقامهم في تلك مدرسة يكون رئيسا لمن دونه.

2- إصلاح أساليب اللغة العربية :

لقد أصاب المجتمع الإسلامي في تلك الفترة أنواعا عديدة من الجمود على مستوى اللغة العربية وهذا ما دفع محمد عبده إلى محاولة إصلاحها واعتبارها لغة القرآن بصفة خاصة ولغة الناس بصفة عامة.

يقول محمد عبده في هذا صدد بقلم محمد رشيد رضا:" إن الأمر الثاني فهو إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير سواء كان في المخاطبات الرسمية بين دواوين الحكومة ومصالحها أو فيما تنشره الجرائد على كافة منشأ أو مترجما من لغات أخرى أوفي المراسلات بين الناس".[2]

هنا محمد عبده يرى أن جمود الذي أصاب المجتمع الإسلامي قد أثر أولاً على الجانب اللغوي لهذا المجتمع فضعف اجتهاد اللغوي والفكري لدى العرب عاد عليهم بنتائج سلبية على لغتهم وكتاباتهم فاقتصر اجتهادهم الفكري على الشروح والتحقيقات لكتب السابقين لهم دون تميز بين النافع والضار منها وهذا ما أكده محمد عبده.

لقد كانت اللغة في تلك الفترة تعاني الركاكة والضعف البالغ الخطورة مما دفع محمد عبده بنهوض باللغة العربية كعامل أساسي في سبيل الإصلاح الديني، ومن هنا فقد كان محمد عبده يرى أن أساليب الكتابة في مصر كانت تنحصر في نوعين وهما:

[1] محمد البهي : الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي ، مطبعة مخيمر ، القاهرة ، 1957 ، ص 188.
[2] محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، ج1 ، ط2 ، دار الفضيلة ، بيروت ، 2006 ، ص 11.

أ- ما كان مستعملا في مصالح الحكومة وما يشابهها.

ب- ما كان مستعملا عند الأدباء وخريجي الجامع.

تميز هذين النوعين من أساليب الكتابة بالغموض في العبارات والمصطلحات بالإضافة إلى مراعاة المحسنات البديعية من سجع وجناس وطباق وأساليب التعبير كانت رديئة غير مفهومة.[1]

إذن هنا مجمل ما عرفته اللغة العربية في تلك الفترة من تهميش الذي أثر عليها بشكل كبير حتى كادت أن تضمحل وتفنى.

لقد بدأ مع محمد عبده في إصلاح لسان الأمة وآدابها بنفسه ، حيث أخد يكتب في الجريدة "الأهرام المصرية منذ سنة 1876، بأسلوب متأثر بالكتب الأزهرية وبلغة فلسفية إسلامية محضة ثم أخد يقوي أسلوبه ويطوره بفضل لأستاذه الأفغاني ويظهر ذلك جلبا في جريدة "العروة الوثقى ".لقد قدم محمد عبده الكثير للمجتمع العربي فيما يخص الإصلاح اللغوي لأنه سبيل لإصلاح الاجتماعي والسياسي ونجاح هذين العنصرين متوقف على نجاح أساليب اللغة العربية ، ولقد ألف مجموعة من كتب والمقالات بهدف لإصلاح لغوي وأدبي لجميع الأمة العربية الإسلامية ، وهنا أدرك محمد عبده بابصيرته النافدة أنه لا يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، فالدين هو أساس الإصلاح في أي زمان كان ومكان ، فكان له في كل وظيفة تقلدها أو عمل تولاه بصمات واضحة غايته نبذ التقليد السائد في المجتمعات العربية وفتح باب الإجهاد والإصلاح أساليب اللغة العربية وتحقيق الإصلاح السياسي و الاجتماعي.

[1] محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده ، مرجع سابق ، ص 258

المبحث الثالث: الإصلاح الاجتماعي

بعدما انتهى محمد عبده من إصلاح الدين وإصلاح التربية والتعليم اتجه نحو الإصلاح الجانب الاجتماعي، لأن إصلاحه ضرورة لابد منها.

حيث تطرق محمد عبده في مشروعه هذا إلى معالجة مجموعة من القضايا الاجتماعية تضمنت مشاكل عديد وهذه أخيرة باتت تسيطر على مجتمعات العربية. ولتلك مشاكل جملة من حلول وقد تم أخدها واعتبارها السبيل الكافي لتحقيق النهضة في العالم العربي، ومن بين القضايا الاجتماعية التي عالجها نذكر على سبيل مثال:

أولا: قضايا المرآة

أعطى محمد عبده دورا كبيرا للمرأة في المجتمع العربي واعتبرها من أولى القضايا التي يجب أن ينظر فيها بشكل دقيق وأول مشكلة خصصها بدراسة وعالجها هي:

أ- التعليم:

سعى محمد عبده مثل غيره من المفكرين إلى معالجة مشكلة تعليم المرأة وذلك لما كانت تعيشه المرأة في عصره وما عاشته عامة من تهميش وخاصة من ظلم في مسائل العقيدة الإسلامية، فالنساء في تلك القرون كانوا لا يعرفون ولا يفقهون من مسائل الدين سوى أداء فريضة الصوم.[1]

لكن محمد عبده وقف موقف الرافض من هذا النوع من الظلم ونادى بضرورة تعليم المرأة مثلها مثل الرجل، وكان يطمح من وراء ذلك أن تنفض هذه القلة القليلة من النساء المتعلمات ويساهموا في تكوين جمعية نسائية تقيم مدارس لتعليم بنات وتضامن محمد عبده في هذه القضية مع تلميذه قاسم أمين واشتراكا في تأليف كتاب بعنوان :"تحرير المرأة."[2]

من هنا يتضح لنا أن محمد عبده قد دعا إلى ضرورة تحرير المرأة من الجهل والظلم الذي بات يسيطر على فكرها مند قرون عديدة وقام بإقحامها في مجال التعليم والسياسة مثلها مثل الرجل الآن كلا منهما لهم دور فعالا في بناء المجتمع.

[1] محمد عمارة: الإسلام والمرأة في رأي الإمام محمد عبده ، دار الرشاد ، ط5 ، 1997 ، ص ـ ص 37 - 38
[2] محمد عبده وجمال الدين الأفغاني : رسائل في الفلسفة والعرفان ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط1 ، 2002، ص 17.

ب – تعدد الزوجات:

إن موضوع تعدد الزوجات قد شغل فكر محمد عبده طوال حياته ، حيث كتب عليه في جريدة الوقائع المصرية وأصدر بشأنها فتوى لم يكن لها نظيرا باعتباره مفتيا للديار المصرية.[1]

من المعلوم لدى عامة الناس أن الإسلام قد أباح تعدد الزوجات وحددهم بأربعة والدليل على ذلك ما جاء في قوله وعلا:﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ في الْيَتَامَى مَا طَابَ لَكُم مَن النسَاء مَثْنَى وَ ثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً﴾[2]

إن القرآن الكريم قد أباح تعدد الزوجات للرجال لكن بشرط أن يتوفر شرط العدل بينهم وإن لم يحقق هذا الشرط فيجب على الرجل الاحتفاظ بالزوجة واحدة.

يرى محمد عبده بأن الشريعة الإسلامية قد أباحت تعدد الزوجات وحددت عددهم بأربعة نساء حتى لا ينهك الزوج حقوق زوجته الأول أباح له أن يقترن بأخرى ، لكن هناك شرط لابد من مراعاته حتى يتمكن الرجل من إحداث هذا التعدد ، والرجل الذي يباح له التعدد هو ذلك الرجل الذي يثق من نفسه أنه سيحقق العدل الذي أوجبه الله عليه بين نسائه. [3]

قام محمد عبده بمنع تعدد الزوجات لأن العدل الذي أوجبه الله مستحيل أن يتحقق في هذا العصر ، لذا وجب على الرجل اقتصار على زوجة واحدة ، لكن هناك حالة استثنائية تبيح للزوج تعدد الزوجات وهي عجز الزوجة عن الإنجاب "العقم " وهنا يباح للزوج أن يتزوج من زوجة ثانية لكي يحقق رغبته.

رفض محمد عبده هذا تعدد لأنه يؤدي إلى حدوث مجموعة من الأضرار وهي:

1– إن في تعدد الزوجات احتقار للمرأة ، لأن المرأة لا ترضى أن يشاركها في زوجها امرأة أخرى والرجل كذلك لا يقبل أن يشاركه غيره في محبة زوجته.

2– التعدد يورث العداوة والبغضاء بين الأبناء والبنات الذي يؤدي بدوره إلى إخلال نظام توازن الأسرة باعتبارها نواة المجتمع.

---

[1] جمال الدين الأفغاني : الأعمال الكاملة ، ج2 ، ت ح محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، د ط ، 1981، ص 234.

[2] سورة النساء ، الآية : 03.

[3] أمين عثمان : رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، 1992، ص 206.

– ينشئ هذا النوع من التعدد سوء معاملة الرجال لزوجاتهم وحرمانهم من حقوقهم المنصوص عليها.3

– إن منشأ الفساد والعداوة بين الأبناء والبنات هو اختلاف الأمهات

رفض محمد عبده تعدد الزوجات بحكم أن هذا التعدد ينتج عنه أضرار وخيمة مثال ذلك :

تشتت في العلاقات الزوجية وانعدام الثقة بين الزوجين وغيرها من المشاكل التي تأثر على نظام الأسرة بالدرجة الأولى وعلى المجتمع بالدرجة ثانية .

ج . الطلاق:

يرى محمد عبده بأن الطلاق شر أنواع الظلم التي يوقعها الإنسان بالإنسان ، نجد يقول بقلم محمد عمارة :"إن الظلم الأزواج للأزواج أعرق في الإفساد وأعجل في الهلاك من ظلم الأمير للرعية ، إن الرابطة الزوجية أمتن الروابط وأحكمها فتلا في الفطرة ، فإذا افسدت الفطرة فسادَا انتكث به هذا الفتل ، وانقطع هذا الحبل ، فأي رجاء في الأمة بعده ، يمنع عنها غضب الله وسخطه ؟ ثم إن هذا الظلم للنفس يؤدي إلى الشقاء في الأخرة ، كما أنه مشق بطبيعته في الدنيا ".[1].

لقد وقف محمد عبده من قضية الطلاق مناصرا لما نصت عليه الشريعة الإسلامية ، فكلا منهما اعتبروه مبغضا عند الله تعالى لأن من أسباب انتشار الفساد في المجتمعات ، وهذا الطلاق لا يمكن أن يحدث إلا لضرورة القصوى.

قام محمد عبده بوضع طريقة تحتوي على مواد قانونية لتفادي فوضى الطلاق ، وهي على نحو التالي :

المادة الأولى : إذا أراد الزوج أن يطلق زوجته فعلية أن يحضر أمامي القاضي الشرعي (المأذون) ويخبره بالشقاق الذي بينه وبين زوجته.

المادة الثانية: يجب على القاضي أن يرشد الزوج إلى ما ورد في كتاب الله والسنة على أن الطلاق ممقوت عند الله وينصحه ويطلب منه التفكير لمدة أسبوع.[2]

المادة الثالثة: إذا أصر الزوج على الطلاق بعد تفكير طويل، فعلى القاضي أن يبعث حكما من أهل الزوج وحكما من أهل الزوجة ليصلح بينهما أو عدلين من الأجانب إن لم يكن لهما أقارب.

[1] محمد عمارة : الإسلام والمرأة في رأي الإمام محمد عبده ، مرجع سابق ، ص 30.
[2] عبد الكريم بو صفصاف ، الفكر العربي الحديث والمعاصر ، مرجع سابق ص ـ ص 356 - 357.

المادة الرابعة: إن لم ينجح الحكمين في إصلاح بين الزوجين فعلى يهما أن يقدما تقريرا لقاضي وعند وذلك يأذن القاضي للزوج بالطلاق. [1]

المادة الخامسة: لا يصح الطلاق إلا إذا وقع أمام القاضي وبحضور شاهدين ولا يقبل إثباته إلا بوثيقة رسمية.[2]

يشترط محمد عبده نية الطلاق والفراق عند إيقاع يمينه وأن يكون الطلاق جميعه واحدا رجعيًا حتى ولو وقع ثلاثا في مجلس واحد. [3]

ثانيا: القضايا الاجتماعية:

إن أول مسألة اجتماعية عالجها محمد عبده هي مسألة إضراب العمال المصرين سنة 1900م ، حيث عرفت مصر في تلك الفترة أطول إضراب دام حوالي ثلاثة أشهر ، قامت به الطبقة العامة ضد الشركات استغلالية الرأسمالية ، التي كان يسيطرون الأجانب على معظم أسهمها الاقتصادية والإدارية ، وهو الإضراب الذي عرف باسم "إعتصاب" (الفافي السجائر) فلقد شارك في هذا الإضراب ما يزيد 30000 عاملا من عمال السجائر وخاصة في شركة "ماتوسيان ".[4]

أدلى محمد عبده برأيه في هذه المشكلة باعتباره مفتيا للديار المصرية أنذاك ، بعد ما أرسل إليه فرح أنطون يستفتيه في هذه القضية، فأجابه محمد عبده بأن روح الإسلام خد الفلسفة الفردية التي يقوم عليها النظام الرأسمالي ، وأن روح هذا الدين توجب على الحكومة التدخل في الشؤون الاقتصادية لمصلحة جماهير العمال ، سواء تعلق ذلك بإقامة صناعات وإرادتها ، أم بتحديد أسعار السلع التجارية بإنصاف العمال وذلك عن طريق رفع أجورهم أو تخفيض ساعات عملهم أو بهما معًا.[5]

وهذا ما أكده محمد عبده من خلال الفتوى التي صرح بها للجمهور كما جاء على لسان محمد عمارة :"أنه يوجد في أصول أحكام الإسلامية : أن قيام بالصناعات من فروض الكفاية ، أي يجب على الأمة أن يكون منها من يقوم بالصناعات الضرورية لقوام المعيشة أو للدفاع عن حوزتها ، فإذا تعطلت الصناعات وجب على القائم بأمر الأمة أن يتخذ السبيل لإقامتها بما يرفع الضرورة والحرج عن الناس .... إذا تحكم

[1] محمد عبده : الأعمال الكاملة ، ج '4 ، ت ح محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات للنشر ، بيروت ، د ط ، 1980، ص 123.
[2] محمد عبده : الأعمال الكاملة ، ج 4 ، ت ح محمد عمارة ، مرجع سابق ، ص - ص 124 - 125.
[3] محمد عمارة : الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتحديد الدين ، دار الشروق ، القاهرة ، ط 1 ، 1994، ص 247.
[4] عبد الكريم بو صفصاف : الفكر العربي الحديث والمعاصر ، محمد عبده ، ج1، دار مداد بونيفار سيتي براس ، قسنطينة ، د ط ، 2009، ص 357.
[5] عبد الرحمان بدوي : الإمام محمد عبده وقضايا الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د ب ، ط 1 ، 2005 ، ص 129.

باعة الأقوات ورفعوا أثمانها إلى حد فاحش وجب على الحاكم في كثير من المذاهب الإسلامية أن يضع حدا للأثمان التي تباع بها ....." [1]

وبناء على هذه الفتوى التي قدمها محمد عبده للمجتمع المصري نجد يقرر بضرورة التدخل الحاكم في شؤون رعيته الخاصة ، إذا رأى أنهم يسوئون التصرف مع الأخرين فوجب عليه أن يتدخل في تسير شؤونهم وذلك عن طريق رفع أجورهم أو انقاص في ساعات العمل حتى لا تحدث الفوضى والفساد في المجتمع.

ولقد استمروا العمال المصرين على تلك على تلك الطريقة التي قدمها محمد عبده في فتواه متمسكين بمبدأ التحكيم أي تدخل الدولة في شؤون العمال حتى انتصروا في قرار المجلس الوزراء التي أصدر في أوث 1919 بإصدار لجنة التوثيق بين العمال وأصحاب العمل .[2]

أ . التكافل الاجتماعي:

يرى محمد عبده بأن تكامل الاجتماعي من أهم أسس النجاح في الحياة الاجتماعية والاقتصادية لأفراد المجتمع ، واعتبره من الفضائل التي أقرها العلماء والحكماء والسياسيون وأثبتوها في مؤلفاتهم ، يجمعها طالب النفع الخاص عن طريق المنفعة العامة.[3]

أمن محمد عبده بضرورة تحقيق التكامل بين أفراد المجتمع، لأن ذلك التكافل من أسباب النجاح في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ويساهم في نشر بذور الرحمة والتآخي بين أفراد المجتمع.

اعتبر محمد عبده المزايا الاجتماعية والاقتصادية التي تعود على الإنسان ثمرة للجهد الجماعي للجماعة البشرية التي ينسب إليها، وليست لجهده الذاتي والفردي فقط، لأن الإنسان إذا كان عاجزًا عن كسب رزقه فهو يحتاج دائما للآخرين كي يعنوه على ذلك. [4]

وهذا ما أكده محمد عبده بقوله كما جاء بقلم محمد عمارة :"إن الإنسان إنما يكسب المال من الناس بحذفه وعمله معهم ، فهو لم يكن غنيا إلا بهم ، فإذا عجز بعضكم عن كسب لآفة في فكره ونفسه أو علة في بدنه آخر ....."[5]

---

[1] عبد الرحمان الكواكبي : الطبائع الآستبداد ومصارع لاستعباد ، ت ح محمد عمارة ، دار الشروق ، القاهرة ، ط 2 ، 2009، ص ـ ص 129 ـ 130.

[2] زكي نجيب محمود : تجديد الفكر العربي ، دار الشروق ، القاهرة ، ط 9 ، 1993 ، ص 155.

[3] عبد الكريم بو صفصاف : الفكر العربي الحديث والمعاصر ، مرجع سابق ، ص 354.

[4] محمد عمارة : الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين ، دار الشروق ، القاهرة ، ط1، 1994 ، ص 155.

[5] محمد عبده : الأعمال الكاملة ، تح : محمد عمارة ، ج1+3 ، ط1 ، دار الشروق ، بيروت ، 1993 ، ص 138.

نستنتج من خلال هذا أن محمد عبده حث على ضرورة التكافل بين أفراد الأمة واعتبر هذا التكافل من الأسس الجوهرية المطلوبة لبناء مجتمع صالح ومتطور يسوده التعاون والمحبة بين أفراده ، وبالتالي ينتج عن هذا مجتمع قوي الأركان متماسك الأطراف ينعم بالعدل والأمن والحرية.

ب . النظام الاقتصادي:

لقد وقف محمد عبده من الظلم الاجتماعي الذي ساد مجتمعه موقف شديد الحسم خاصة عن الظلم الذي ينشأ عن المظالم الاقتصادية والمالية التي يلحقها الإنسان بأخيه الإنسان واعتبرها من أشد أنواع الظلم السائد في المجتمعات وذلك لارتباطه بسلطات المال حتى اعتبر أن الجمع بين التعلق الشديد بالله والتعلق الشديد بالمال في قلب واحدا أمرًا مستحيلا عند الإنسان.[1]

يقول محمد عبده في هذا الصدد بقلم محمد عمارة :" إنكم لو وزنتم جميع أنواع الظلم الذي يصدر من الإنسان لو وجدتم أرجحها ظلم الباخل بفضل ماله على الملهوف يغيثه ومضطر يكشف ضرورته ، أو على المصالح العامة التي نقي أمته مصارع الهلكات ، أو ترفعها على غيرها درجات ، أو تسد الخروق التي حدثت في بناء الدين ، أو تزيل السدود والعقبات من طريق المسلمين ، فإن هذا النوع من الظلم هو الذي لا يعذر صاحبه بوجه من وجوه ....." .[2]

بين لنا محمد عبده من وراء كلامه هذا أن جميع أنواع الظلم المنتشرة في المجتمعات العربية تعود إلى منشأ واحد لا غيره وهو الظلم الذي يصدره الأغنياء في حق الفقراء ، فهؤلاء الأغنياء يكتنزون أموالهم ويتباهون بها ويحرمون منها الفقراء والمحتاجين فتلك الأموال قد تكون لهم سندًا في حياتهم ويساهمون بفضلها في تطوير مجتمعاتهم وذلك عن طريق إنفاقها في المصالح العمومية مثل: بناء مساجد ومدارس ، مستشفيات وغيرها فهؤلاء الأشخاص البخلاء سيحاسبون حسابا عسيرا أمام الله تعالى لأنهم انتهكوا حقوق غيرهم وحرموهم منها.

ولقد اعتبر محمد عبده هؤلاء الأغنياء الذين يبخلون بأموالهم على المصالح العامة كافرون بالله على سبيل حقيقة لا على سبيل المجاز، لأنهم عارفين بأحوال أممهم وما هو عليه من جهل بأمور الدين والدنيا وفساد الأخلاق ، يعلمون أن صلاح البلاد يتوقف على بذل شيء من أموالهم في سبيل التربية والتعليم أو

[1] أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، د س ، ص ـ ص 361 - 362.
[2] أحمد أمين ، زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، د س ، ص ـ ص 361 - 362 .

نحوها من المنافع العامة ويبخلون بذلك هؤلاء لا يستحقون أن يكونوا مسلمين لأنه لا يوجد في قلوبهم رحمة اتجاه الإسلام وأهله.[1]

كان محمد عبده معارضا لهذا النوع من الظلم وكل من يمثله لأنه هو المصدر الأساسي انتشار الفساد في المجتمعات ولا يستحق هؤلاء أن يكونوا بالمسلمين لأن المسلمون يتعاونون فيما بينهم على السراء والضراء،لذا وجب القضاء على مثل هذا النوع من الظلم حتى تستقر المجتمعات وتخرج من التخلق الذي طغى عليها.

ثالثا: موقفهم من التحكم الاستغلالي لرؤوس الأموال:

عندما رأى محمد عبده طغيان التحكم الاستغلالي لرؤوس الأموال على المجتمعات العربية وما انجز عنها من صراعات ومشاكل بين العمال وأصحاب العمل ، وهذا ما دفع محمد عبده إلى محاولة تصحيح هذا الوضع ، وذلك عن طريق تنبهه إلى المخاطر التي تحدق بالمجتمعات من جراء تحكم رأس المال فيها فهو بهذا اتخذ موقفا وسطا في مسألة توزيع المال ، فهو يرى بأن المال ليس مذموما لذاته في دين الله ولا مبغضا عند الله إطلاقا.[2]

ويبدو موقف محمد عبده من المال أكثر وضوحا في نصوص التي كتبها حول موضوع "الربا" إذا يعتبر أن استغلال المال بالمال عن طريق استغلال حاجة المحتاجين من الأسباب الأساسية التي أدت إلى تحريم الربا في الإسلام بالإضافة إلى المخاطر الجسمية التي تحل بالمجتمعات إذا وقعت ضحية سلطان استغلال المال بالمال.

رفض محمد عبده هذا النوع من استغلال لأنه نتج عنه أضرار وخيمة سواء تعلقت بأفراد أو المجتمعات وإصلاح هذا الوضع هو سبيل الاستقرار المجتمعات وبالتالي توطيد العلاقات بين العمال وأصحاب العمل.

بين محمد عبده الشيء الذي جعل الإسلام يحرم الربا من خلال قوله كما جاء على لسان محمد عمارة:" إن النقدين (الذهب والفضة) إنما وضع وضعا ليكونا ميزانا لتقدير قيم الأشياء التي ينتفع بها الناس في معاشهم ، فإذا تحول هذا وصار النقد مقصودًا بالاستغلال ، فإن هذا يؤدي إلى انتزاع الثروة من أيدي

[1] أحمد صلاح زكي : أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث ، ط1 ، مركز الحضارة العربية ، القاهرة ، 2001 ، ص 157.
[2] علي المحافظة : الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ، د ط ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1988 ، ص - ص 59 - 60

أكثر الناس وحصرها في أيدي الذين يجعلون أعمالهم قاصرة على استغلال المال بالمال ، فينموا المال ويخزن في الصناديق والبيوت المالية ....وبذلك يهلك الفقراء (في مثل هذه) البلاد ترى الفقير يموت جوعا ولا يجد ما يسد به رمقه ...." . [1]

من الأسباب الرئيسة التي جعلت الإسلام يحرم الربا وذلك لما يترتب عليها من السلبيات المتمثلة في استغلال الأغنياء (أصحاب العمل) للفقراء (العمال) و انتهاك حقوقهم وسلب ممتلكاتهم وثرواتهم واستخدامها لأغراضهم الشخصية ، وهذا ما يؤدي إلى هلاك الفقراء وحرمانهم من حقوقهم المنصوص عليها في القرآن الكريم وفي القوانين.

والدليل على تحريم الربا في الإسلام ما جاء في الآية الكريمة بقوله جلا وعلا: ﴿ يَأَيُهَا الذَينْ أَمَنَّوا لاَ تَأْكُلُوا اَلْربَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾. [2]

لقد أبصر محمد عبده أن تركيز ثروة البلاد في أيدي القلة من أبنائها ولاسيما في أيدي الأجانب ينتج عنه عدة مخاطر مثل : انخفاض القدرة الشرائية عند الأغلبية الفقيرة من المواطنين ، هذا بدوره يؤدي إلى الفساد في أسواق الزراعة والتجارة والصناعة التي تأثر على الأغنياء بالدرجة الأولى وعلى ثروة البلاد بالدرجة الثانية ، إذا تنحصر تلك الثروة في دوائر مخصوصة عند أشخاص قليلين فتضمحل أسواق الزراعة والصناعة والتجارة بوجود قلة الراغبين في الضائع والبضائع.[3]

أو بالأخرى قلة العرض والطلب وهذا نتيجة لتحكم سلطان الرأس مال الاستغلالي لذا يجب النظر في هذا الوضع وذلك بإعطاء كل ذي حق حقه حتى يتوفر العدل في المجتمعات العربية.

[1] معاليق منذر : معلم الفكر العربي في عصر النهضة ، د ط ، دار اقرأ ، لبنان ، 1986 ، ص 140.
[2] سورة آل عمران ، الآية 130.
[3] عبد الحمن بدوي : الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 63.

المبحث الرابع: الإصلاح السياسي:

من المسائل التي ركز عليها محمد عبده مشروعه الإصلاحي بعد انتهائه من إصلاح الدين وإصلاح التربية والتعليم والاجتماعي هي: السياسة.

لقد عايش محمد عبده كل أحداث عصره وشهد المظالم التي كانت تنهال على بلده من قبل الحكام ، ورأى سياسة المكر والخداع التي اتبعتها بريطانيا في مستعمراتها خاصة بلدان المشرق العربي ،فهذه الأوضاع حركت في نفسه مشاعر نحو الإصلاح السياسي ومهاجمة الحكام المستبدين.[1]

وقام باقتراح مجموعة من الإصلاحات المتعلقة بالحاكم والحكومة والشعب.

لقد مارس محمد عبده السياسة مع أستاذه جمال الدين الأفغاني لكنه لم يداوم عليها ، وقد أيد أستاذه جمال الدين الأفغاني أيضا في فهمه للعلاقة بين الدين والسياسة لأنه رآهما يتعلقان ببعضهما ولا يتوازيان ضرورة.

حيث يرى أنه يجب على الأمة أن تكون حريصة على الحكام من خلال القرارات التي تتخذها وأيضا من خلال القوانين التي تصدرها والتي يأمرون بها في حق الشعب حتى يقام العدل في الدولة وتنعم الدولة في ظله بالأمن والاستقرار من ثمة التطور.

أول ما أمر به محمد عبده بإصلاحه في المجال السياسي هو:

أولا- الحاكم:

وضع محمد عبده مجموعة من الشروط التي يجب أن تتوفر في الحاكم وهي على النحو التالي:

أ- يجب أن يكون الحاكم أصيل الرأي وعالما حازما.

ب- يجب أن يكون على الهمة رفيع المقعد قوي الطبع.[2]

ج- يجب أن يكون حاكما عادلا نزيها وشجاعا.

ت- يجب أن يوكل لهذا الحاكم العمل على اتحاد الأمة بالإقناع أو بالقوة.

[1] عبد الكريم بو صفصاف ، الفكر العربي الحديث والمعاصر ، مرجع سابق ، ص 354.

[2] - زكريا سليمان بيومي: التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين دراسة تاريخية في فكر الشيخ محمد عبده، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، د ط ، 1993.

ح- يجب على الحاكم أن يختار معاونه في الحكم من أصحاب الصفوة المستنيرة (الإرادة ، القوة ، الشجاعة....).

ج- يجب على الحاكم أن يقيم العدل الذي يطالبه به القانون والأمة معا، وإذا فارق الكتاب والسنة في عمله وجب على الأمة أن تستبدله بغيره.[1]

خ- يجب أن يكون هو الرئيس المطاع والناصح الأمين وروح المجتمع الإنساني.

د- يجب أن تتوفر فيه الإرادة والقوة باعتبارها من العناصر المفقودة والنادرة في الحاكم ثم يأتي الإخلاص في العمل.[2]

وهذه هي أهم الصفات التي أوجب محمد عبده توفرها في الحاكم وعن طريقتها يحقق الحاكم العدل وينشر المساواة بين الرعية، وفي هذه الفكرة نجد محمد عبده يتفق مع ما ذهب إليه سابقا المفكر أبو نصر الفارابي(870 . 950) هذا الأخير قدم مجموعة من الشروط التي يجب أن يتحلى بها الحاكم العادل، وبفضل تلك الشروط المتوفر فيه يستطيع أن يحقق لأمته كل ما سعى إليه وسير بها نحو التقدم.

ثانيا- الحكومة:

إن الحكومة في المجتمعات العربية الإسلامية حسب محمد عبده يجب أن تقوم على جملة من المبادئ التي عن طريقها يحقق النهوض وهي على نحو التالي:

أ- الشورى:

يرى محمد عبده أن الحكومة الإسلامية يجب أن تكون شورية ملتزمة بما جاء في الشريعة الإسلامية لأن الإسلام قد حدد للحكومة إطار خاص يجب أن تسير وفقه وتلتزم به.[3]

تعتبر الشورى من أهم أسس التي يجب أن يقوم عليها الحكم في الإسلام والقرآن الكريم قد أثبت أهمية هذا الشورى، ولقد خصص الله له سورة كاملة تحمل اسمه كما جاء في قوله جلا وعلا: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾. [4]

---

[1]-زكي نجيب محمود: تجديد الفكر العربي، دار الشروق، القاهرة، ط 9، 1993.

[2]- صلاح زكي أحمد: أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط 1 ، 2001.

[3] زكريا سليمان بيومي: التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين ، مرجع سابق ، ص ـ ص 76 - 77.

[4] شيخو لويس: الآداب العربية في القرن 19، ج1 ، ط2 ،مطبعة الآباء السوعين، بيروت ، ص 234.

ولقد أمر الله نبيه محمد ﷺ بمشاورة أصحابه في القرارات التي يتخذها في شان أمته، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ فَاعْفُ عَنْهُم واستغفر لهم وَشَاوِرهُم في الأمر فإذا عَزَمْتَ فَتَوكَّل عَلى الله﴾. [1]

فمن خلال هذه الآيات فإننا نستنتج بأن الله سبحانه وتعالى قد دعا عباده إلى شورى فيما بينهم وحث على ضرورة رجوع إليها في اتخاذ القرارات المتعلقة بمصير الأمة نظرًا لأهميتها وما تحققه من إيجابيات.

إن محمد عبده قد ربط الإصلاح السياسي بالتربية والتعليم واعتبرهما السبيلان لإصلاح الحكومة، وعن طريقهما تتحقق المساواة بين الرعية. وهّه الأخيرة تتحقق عن طريق الطبقات الدنيا والوسطى في توجيه الحكام نحو الصلاح، والرعية هم الذين يقومون باختيار الحاكم الأمثل الذي يمثلهم ويسعى إلى تلبية مطالبهم ويسير بهم نحو التقدم.

ب – الحرية:

لقد كان محمد عبده من دعاة الحرية وحقوق الإنسان، يرى بأنه لاوجود لأي وطن بدون الحرية، وهذه الأخيرة في حق القيام بالواجب المعلوم ونجد محمد عبده ينكر أن يكون لأي أحد من الحكام والسلاطين سلطة على أحد من الرعايا إلا فيما يعود على البلاد بالمنفعة العامة.[2]

كان محمد عبده حريصا على حرية السياسية بحكم أنها لا تزال من لوازم النماء والبقاء في المجتمع الإنساني، والحياة توجب على الوطني (الفرد) أن يكون حرا في رأيه متصرفا في شأنه إلا حد ألا يضر بهيئة مجتمعه ولا يمس سواه، وهذه الحرية تقتضي العلم بالمصلحة العمومية والحدود الشخصية وهو ما يعبر عنه بالأدب السياسي.

فإذا حصل الأدب للوطني السياسي كان نبيل النفس طاهر القلب صادق النية قادرا على إيثار المصلحة العمومية فله حين ذلك ما لسائر أهل السياسة وهي الحقوق الكريمة المقدسة المعروفة ب: حرية الرأي، حرية القول، حرية الانتخاب.[3]

كان محمد عبده يميل إلى إعلاؤه من شأن الأمة والحرص على كرامتها وحريتها، فكل إنسان له الحق في ممارسة أفعاله وأقواله بكل حرية ولا يمكن أن يعقيه أي عائق إلا إذا كانت تلك الحرية تجلب الضرر للأمة فوجب تقيد الفرد.

---

[1] سورة آل عمران ، الآية: 159

[2] محمد عبده: الكتابات السياسية ، تقديم محمد عمارة ، دار الكتب القطرية ، قطر ، ص ـ ص 95 ـ 94.

[3] شيخو لويس: الآداب العربية في القرن 19، ج1 ، ط2 ،مطبعة الآباء السوعين، بيروت ، ص 234.

ثالثا – القانون:

احتل القانون مكانة بارزة في فلسفة محمد عبده واعتبره الركن الأساسي الذي يجب أن تقوم عليه السياسة، وذلك لما راها في بلده من ظلم الحكام وسوء تسيرهم للقوانين الذي دفع إلى تخلف الأمة العربية. وهذا ما أكده محمد عبده كما جاء على لسان محمد عمارة: "إنما تسعد البلاد ويستقيم حالها ، وإن أفضل القوانين وأعظمها فائدة حسب محمد عبده هو ذلك القانون الذي يصدر عن رأي العام (الرأي الأمة) وهو ذلك القانون الذي يؤسس على مبادئ الشورى. [1]

إن هذا القانون في نظر محمد عبده هومن القوانين الصالحة لبناء الأمة لأنه يركز على رأي الأمة فهذا بدوره يؤدي إلى النفع العمومي وليس لنفع الحاكم أو المحكوم فقط .نجده يقول في هذا الصدد بقلم محمد عمارة :" ....يكون جميع الأعمال على اختلافها حينئذ متجه إلى غاية واحدة هي النفع العمومي المنقسم على كل فرد من أفراد الرعية على التساوي، كل بمقدار عمله، وصاحب الحظ الوافر من السعادة هم العمال والمأمورون وأركان الدولة، لأنهم مصدر الأعمال الكلية التي عليها يدور نظام البلاد ،فينالون من الثمرة على مقدار مالهم من فضل."

إن لكل من الحاكم والرعية حقوق وعليهم واجبات وتقدم البلاد وتخلفها متوقف على عمل هؤلاء فإذا إحترموا القوانين وطبقوها على أكمل وأحسن وجه ونالوا من ورائها السعادة والتقدم وإذا خالفوا ذلك القوانين وتجاهلوها حدث العكس.

صحيح أن محمد عبده قدم مجموعة من الإصلاحات في السياسة، لكنه لم يلقى نجاحا كبيرا مثلما تلقاه في إصلاح الدين وهذا ما صرح به بقلم محمد رشيد رضا قائلا:" أما أمر الحكومة والمحكوم فتركته للقدر يقدره، وليدا الله بعد ذلك تدبره.....".

رفض محمد عبده الإتمام في الإصلاح السياسي وذلك بعدما تعرض له من نفي وتشرد بالإضافة إلى المشاكل والأضرار التي تنتج من ورائها، والسبب الرئيسي للمشاكل الموجودة في المجتمعات يعود بالدرجة الأولى إلى سوء تسير الشؤون السياسة.

[1] ضيف الله محمد الأخضر، محاضرات في النهضة العربية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1980، ص 24.

الفصل الثالث:

مشروع الإصلاحي في ميزان النقد

تمهيد:

في الفصل الأخير الذي قسمناه هو كذلك إلى ثلاث مباحث سنقوم بإبراز أهم المفكرين والباحثين الذين عارضوا مشروع محمد عبده الإصلاحي الذي أقامه في المشرق العربي ثم انتشر في مختلف البلدان العربية ، فالمبحث الأول سيخص نقد الجانب الديني ،أما الثاني فخصصناه لنقد الجانب التربوي، والثالث والأخير سيكون حول الجانب السياسي الاجتماعي، فمن هم الباحثين والمفكرين الذين قدموا انتقادات لفكر محمد عبده؟

المبحث الأول: نقد الإصلاح الديني

ليس الإصلاح الديني هو إحداث تغيرات في الدين، إذا نجد بأن المصلح الديني قد انطلق من إحساس واقعي بالعالم، ونقصد بالعالم الذي يعيشه في حاضره دون النظر إلى الغرب المتقدم، وهذا هو السبب الذي دفع المصلح إلى البحث عن الإسلام الخالي من الصدأ الذي علق به بسب الابتعاد عنه، والعمل على تنظيفه والعودة به إلى لمعانه الأصلي. [1]

بالإضافة إلى ذلك نجد بأن اشتداد وعي التخلف ووعي ضرورة مجابهة أسباب التخلف وضرورة تكيف الإسلام مع الحاضر كل ذلك فرض القراءة الجديدة للإسلام والعودة إلى روحه الأولى، عودة تخدم مهام الحاضر، وبذلك تحولت حركة الإصلاح الديني إلى تيار ضد المؤسسات والرواسب والتقاليد المعيقة للتقدم ، فقد أصبحت حركة الإصلاح الديني تعبر عن تطلعات جديدة، مما يجيز لنا القول أن الرواد الإصلاح الديني هم مثقفين تاريخين عبروا عن مهام تاريخية واجتماعية فرضها التطور الموضوعي لمجتمعاتهم ، وإن صخت هذه النظرة، فإن الإصلاح الديني لم يستمد مشروعيته من الجذور وحدها بل عمل على ليس تأسيس جذور جديدة استمدها من إلحاد الحاضر وضرورات المستقبل.

ليس من أسهل ذكر أكثر المأخد على الشيخ محمد عبده فضلا عن ذكرها جميعاً، وتقدم ذكر بعضها بما يغني عن إعادتها ونذكر منها:

اشتراكه مع أستاذه الأفغاني في المحافل الما سونية في منزله بخط الأفغاني وقد صودرت أثناء سجنه بمصر، مما يطعن في عقيدة محمد عبده، فكيف يؤمن بمبادئ الماسونية ؟وهو من علماء المسلمين ومفسر للكتاب الله الكريم ؟ حسب كتابه الأعمال الكاملة الجزء الأول والجزء الخامس اللذان عنوانهما يندرج تحت تفسير القرآن الكريم إذا أنه من الغريب جدا أن نجد الأستاذ الإمام محمد عبده هذا العالم الديني المعروف الذي فسر القرآن الكريم، وكان له شأن عظيم في مصر خاصة والعالم الإسلامي عامة، وما كان يذكر بالخير حتى إلى يومنا هذا، فكان عجيبا حقا أن يكون هكذا. [2]

إن من أهم المأخذ عليه محمد عبده علاقته المربية بالإنجليز كأستاذه أفغاني فقد كان الإمام محمد عبده يبذل لهم النصيحة خالصة ويرشدهم إلى ما يوطد دعائم احتلالهم ويحذرهم من الأخطاء التي يكادون أن يقعوا

[1]- أحمد برقاوي: محاولة في قراءة عصر النهضة ـ الإصلاح الديني ـ النزعة القومية (دار الأهالي ، دمشق ، ط 2 ، 1999) ، ص ـ ص 60 -61.

[2]- فهمي جذعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العصر الحديث (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ، ط 3 ، 1988،) ، ص 181.

فيها وتضررهم في مصالحهم، نذكر لذلك مثالا بعزيمة اللورد كر ور على إلغاء النيابة العامة وإحالة أعمالها إلى القضاء، فحذره محمد عبده بأن هذا خطأ لا يحتمل الصواب وعلل ذلك بأن رجال النيابة من أرقى رجال البلاد علما وعقلاً ولسانا وقلما.

إن الخدمات التي قدمها الإمام محمد عبده للإنجليز جعلتهم يقومون بالدفاع عنه والوقوف بجانبه فقد صرح اللورد كروما بأن الشيخ محمد عبده يظل مفتيا في مصر ما ظلت بريطانيا العظمى محتلة لها وكان الاحتلال الإنجليزي عاملاً أساسيا من عوامل عودة محمد عبده إلى مصر، ثم لا ندري كيف تستقيم عقيدة الرجل وقد كلت أبصارنا من قراءة عبارات له خطيرة يبدو الانحراف ظاهراً في عقيدة قائلها.

ظهر في هذا المجال مجموعة من المفكرين والباحثين المحدثين والمعاصرين وجهوا انتقادات للإصلاح الديني الذي قدمه محمد عبده للمجتمعات العربية ومن بين هؤلاء المفكرين نذكر على سبيل المثال:

1-مصطفى صبري (1860-1945):

يعتبر مصطفى صبري من بين المفكرين الذين ثاروا على فكر محمد عبده خاصة في الإصلاح الذي قدمه للأزهر، ويظهر هذا واضحا في كتابه الذي ألفه تحت عنوان:" موقف العقل والعلم من رب العالمين وعبادة المرسلين" بين مصطفى صبري من خلاله أن مشروع الإصلاحي الذي قام به محمد عبده في المشرق العربي وعلى الأزهر خاصة زعزعة مكانة الأزهر ونفرت الناس حوله، وهذا ما أكده قائلا: "أما النهضة منسوبة إلى الشيخ محمد عبدوه فخلاصتها أنه زعزع الأزهر عن جموده عن الدين ، فقرب الكثير من الأزهريين إلى اللادنين خطوات، ولم يقرب اللادنين إلى الدين خطوة.[1]

يرى مصطفى صبري بأن الجهود التي بذلها محمد عبده في سبيل اصلاح الأزهر عن طريق تحرير الفكر من قيد التقليد وفتح باب الاجتهاد عن طريق الاقتباس من ثمار الحضارة الأوربية، لم تأتي بثمارها بل قامت بهدم الركائز الأساسية التي يقوم عليها الأزهر وجعلت الناس ينفضوا عن العالم ويهجروا الأزهر، وذلك بحكم أنه قضى على رجال الدين الموجودين بالأزهر وعوضهم بغيرهم من العلماء والمفكرين جدد، وهو بهذا قضى بشكل كامل على الدين (التراث) وأعطى الأولوية المطلقة للعلوم الحديثة.

[1] محمد محمد حسين ، الإسلام والحضارة الغربية ، دار الفرقان ، 1985 ، ص 90.

ومحمد عبده بهذا بدلا من أن يهاجم خصمه فرح أنطون وغيرهم من المفكرين الأوروبيين الذين أرادوا الإساءة إلى الإسلام وأهله، راح يهاجم ويهزم علماء الدين الذي هو جيشه عن طريق اتهامه لهم بالجمود والتحجر الذي طغى على فكرهم خاصة في مسائل العقيدة وما شبهها.[1]

إن محمد عبده كان واجبه أن يبحث عن الحلول المناسبة التي يتم عن طريقها اصلاح أحوال المسلمين ويساند رجال الدين في ذلك بحكم معرفتهم بأمور الدين فراح يبحث عن الأمور الخارج عن نطاقه والتي لا فائدة من التعمق والبحث فيها.

ولقد اعتبر مصطفى صبري أن محمد عبده وجمال الأفغاني هما أول من قام بإدخال الماسونية إلى الأزهر، ويناصره في الرأي المفكر الإسلامي يوسف النبهاني (1849-1932) اذا يرى إن كلا من جمال الأفغاني ومحمد عبده اتفقا على ادخال الماسونية إلى الأزهر، وهذه الأخيرة لا تجتمع مع الدين بأي وجه من الوجوه بل هي ترفض الأديان كلها وهي ضد السلطات كلها بما فيها السلطة الدينية.[2]

وفي هذه الفكرة نجد محمد عبده قدم وساهم بشكل كبير في تدمير وتخريب معالم الأزهر الشريف بدلا من أن يقوم بإصلاحه وتطويره مثلما كان يعتقد.

2- زكي الميلاد (1965م .....)

يعتبر زكي الميلاد من الكتاب والباحثين في الفكر الإسلامي في العصر الحديث الذين توجهوا بالنقد لفكر محمد عبده وبالأخص " رسالة التوحيد " التي الفها محمد عبده بعد عودته من منفاه والتي اعتبرها الكثير من المفكرين وحتى عامة الناس أهم رسالة في التجديد الدين وعلم الكلام، حيث يرى زكي الميلاد في " رسالة التوحيد" هي عبارة عن كتاب يتصف بالطرح العام وهي مجرد دروس تثقيفية في العقائد القاها محمد عبده على طلاب المدرسة السلطانية خلال فترة تواجده في بيروت 1885م، وأهملها بعد ذلك للسنوات وأثناء عودته من المنفى فكر في جمعها واصدارها في كتاب بعد أن أجرى عليها بعض التعديلات.[3]

وهذا الكتاب يفتقد إلى التوثيق العلمي والمرجعي وتغيب عنه النظريات الكلامية المعاصرة ومن المبالغة النظر إليه باعتباره كتابا في تجديد علم الكلام حيث أنه كان يسعى من وراءه إلى تجديد علم الكلام بعدما

[1] عثمان أمين: الإمام محمد عبده رائد الفكر المصري ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، د ط ، 1996 ، ص 342
[2] محمد محمد حسين :الإسلام والحضارة الغربية ، مرجع سابق ص - ص 90 - 94.
[3] -زكي الميلاد: من التراث إلى الاجتهاد الفكر الإسلامي وقضايا الإصلاح والتجديد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2004 ، ص 95

تعرض إلى التشويه والتحريف، ولكنه في الحقيقة هو عكس ذلك تماما نظرا لاحتوائه على دروس موجزة في العقيدة الإسلامية التي كانت تلقى على الطلبة في المدارس.

ولقد أظهرت الكثير من الكتابات العربية الدراسة لفكر محمد عبده أنه كان متأثرا لحد كبير بفكر المعتزلة وساهم في احياء مذهبهم العقلي وإعادة الاعتبار له، وهذا ما صرح به البيرت الحوراني (1945-1993) في كتابه الفكر العربي الحديث والمعاصر إذا يرى بأن الحركة الإسلامية التي رعاها في بدء الخلفاء العباسيون ثم تخلو عنها ثم ، أصبحت فيما بعد عنصرا خامدا في الإسلام، إلى أن عادت وأصبحت منذ أيام عبده أحد عناصر الفكر السني الحديث.[1]

لقد تأثر محمد عبده بالفكر المعتزلين في معظم أراءه الدينية خاصة عندما قام بتفسير القرآن الكريم بمنهج عقلي حديث بالإضافة إلى تقديمه للعقل على النقل الشريعة عند حدوث التعارض بينهما وهو بهذا ساهم في نشر وتثبيت فكر المعتزلة لدى الباحثين والمفكرين لكنه لم يصرح بهذا مطلقا بل راح يمجد في فكر أستاذيه الشيخ درويش خضر والسيد جمال الدين الأفغاني.

[1] ألبرت حوراني : ينظر سلامة موسى ، موسوعة أحداث وإعلام مصر العالم ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط1 ، ج 2 ، 2001 ، ص 339.

المبحث الثاني: في مجال الفكري والتربوي:

لقد تلقى مشروع محمد عبده الإصلاحي في المجال الفكري والتربوي مجموعة من الانتقادات من قبل عدة مفكرين من بينهم:

1- محمد عمارة (1931-2020م)

حيث يعتبر محمد عمارة مصطفى من مفكرين العالم الإسلامي ومحقق لمجموعة من المؤلفات، على رغم من أنه حقق الأعمال الكاملة لمحمد عبده الا أن وجه له مجموعة من الانتقادات وهي على نحو التالي:

يرى محمد عمارة بأن محمد عبده قد أخطا عندما اعتقد أن الإصلاح التربوي هو السبيل الأساسي لتحقيق الإصلاح في المجتمعات العربية واعتبرها البديل للعمل السياسي المباشر ضد السلطة الاحتلال هذا غير صحيح لأن التحرر الفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي جميعها وجوه لعملة واحدة لأي حركة سياسية ناجحة تتصدى للمستعمر يحتل بلادها أن تعمل على هذه الجوانب كلها التي تكون جميعها ميدانا واحدا للنضال. [1]

لقد تجاهل محمد عبده الجانب السياسي والاقتصادي في القضاء على التخلف وكذا القضاء على المستعمر وركز على التربية، هذه الأخيرة في غياب الجوانب الأخرى لا تستطيع أن تفعل شيئا لذا يجب ربطها بالسياسة، وهذه هي الفكرة التي جعلت جمال الدين الأفغاني يتخلى عن محمد عبده ويسير في اتجاه مغاير.

أن أراء محمد عبده التي قدمها حول مسألة التربية والتعليم كانت نظرة مثالية غير واقعية فهو عندما ركز على التربية واعتبرها العصى السحرية التي تغير كل شيء وتجعله إيجابي وتجعل الناقص كاملا والمقيد متحررا قد قلل من شأن الجوانب الأخرى في حياة المجتمع وغض النظر عن المشاكل التي لابد للمصلحين أن ينظروا في أمرها ويتعاونوا على حلها كي تنهض البلاد العربية كما سيطرت على نظرته إلى التربية تجربته الذاتية حين انتقلت به التربية التي تلقاها من الشيخ درويش خضر من مشاركته إخوته علي محروس في الزراعة إلى مشاركة الأنبياء والأولياء والقديسين.[2]

إن التربية التي تلقاها محمد عبده في مراحل تكوينه الأول وما نتج عنها من إيجابيات أراد أن يعممها على كافة الأمة الإسلامية على أمل أنها مثلما حققت له نجاحا في حياته ستحققه في المجتمعات العربية

[1] محمد عبده: الأعمال الكاملة ، ج4 ، ت ح محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات للنشر ، بيروت ، د ط ، 1980 ، ص 143.
[2] محمد عمارة : الجامعة الإسلامية والفكرية القومية ، دار الشروق ، القاهرة ، ط1 ، 1994.

وتسير بهم إلى التقدم والتطور وهذا الأمر لن يتحقق مطلقا مادام لم يقترن بالسياسة ولا الاجتماع ولا الاقتصاد ..... ولقد علق محمد عبده أماله في تحقيق هذه التربية على الأغنياء وهذه أيضا نظرة مثالية غير واقعية ولا علمية، لأن هؤلاء الأغنياء لا يمكنهم أن يساهموا في تطوير بلادهم.

لقد وقع محمد عبده في خطأ عندما علق أماله في تحقيق التربية على الأغنياء هم مصدر الفساد المجتمعات ولا يحملون في ذواتهم ولو ذرة من التربية على عكس الفقراء الذين يمتلكون التربية وقد ساهموا بشكل كبير في نشرها في أوساط المجتمعات والوقع يثبت ذلك أن أفاق إصلاح الذي قدمه محمد عبده ظل بعيد عن متناول يديه حتى اليوم الذي توفي فيه وبالأخرى حتى اليوم الذي نعيش فيه نحن.[1]

2- عاطف العراقي (1935-2011):

يعرف عاطف العراقي أستاذا للفلسفة بكلية الأدب ، توجه بالنقد لفكر محمد عبده ويظهر هذا واضحا في الكتاب الذي حققه بعنوان "الإسلام دين العلم والمدنية " ومن بين الانتقادات التي وجهها له نذكر على سبيل مثال عندما أكد محمد عبده أن النهضة العربية لا تكون إلا بالتوفيق بين الأصالة والمعاصرة (التراث و الحداثة) كان لابد عليه أن يحدد لنا بصفة خاصة ما يجب أن نأخذه من التراث الإسلامي ومايجب أن نأخذه من الحضارة الأوروبية بصفة خاصة فهو لجأ إلى التعميمات وترك مجال مفتوح. [2]

اقتصر محمد عبده على الجانب الظاهري فقط ولم يوضح الجانب الباطني المجهول عند أغلب المفكرين والباحثين وحتى عامة الناس، لذا كان من واجبه أن يبين لنا العلوم التي يجب علينا الاحتفاظ بها من تراثنا الإسلامي والعلوم الحديثة التي يجب أن نستفيد منها ونستعين بها في تحقيق النهوض بالشكل الدقيق وواضح حتى لا نقع في التناقضات مع الدين ولا يتعرض هو نفسه إلى انتقادات كما أن محمد عبده لم يركز على السبب الهام الذي أدى إلى تخلف المسلمين وتأخرهم في الالتحاق في الركب الحضاري الأوروبي وهو الانغلاق الفكري الذي حجب عنا التقدم والنظر إلى المستقبل.

حيث حدد محمد عبده مجموعة من الأسباب التي أدت إلى التخلف العرب في جميع المجالات ولم يركز على سبب واحد من هذه الأسباب ويخصصه بالدراسة حتى يتمكن من إصلاحه بشكل كامل وّلك على رغم من أن محمد عبده كان من المفكرين المجددين والمعاصرين الذين دعوا إلى الأصالة والمعاصرة لكنه

[1] محمد عبده ، الإسلام دين العلم والمدنية ، تحقيق العاطف العرقي ، دار القباء ، 1998 ، ص 19.

[2] محمد عبده: الإسلام دين العلم والمدنية، مرجع سابق ص - ص 19 - 20.

عندما تناول مسألة تأخر المسلمين عن الركب الحضاري نجد الكم التراثي قد طغى على فكره بالشكل كامل على عكس الكم العلمي والفكري المعاصر الذي كان غائبا عن انظاره.[1]

هذا ما دفع وقادة محمد عبده بشكل كبير على اللغة العربية ونادى بضرورة إصلاحها إلا أنه لجأ في ذلك إلى تعميم دون تخصيص، ودون أن يضع اعتبار العديد من الأمثلة والحوادث التاريخية التي لا تؤيد أقواله.

وهذا ما لأُحظ أثناء ذكره لنا أن المقالات والكتب التي كانت تنشر ويتداولها الناس كانت عديمة المراقبة، لقد تجاهل واغفل عن الكتب التي أحرقت بسب ما تتضمنه من أقوال مثل كتاب احياء علوم الدين" أبو حامد محمد الغزالي " (1095-1111) وعن مهاجمة العاملين والمشتغلين بالمنطق والفلسفة واحراق كتب ابن رشد بعد نفيه من قرطبة إلى غيرها من الاحداث التي كان لابد لمحمد عبده الوقوف عندها أفضل له من أن يلجأ إلى التعميمات.[2]

وهذا ما سعى إليه محمد عبده جاهدا لإصلاح اللغة العربية وأساليبها لكنه لم يفلح في ذلك لأنه ركز على الجوانب التي لا يمكن أن يستفيد منها ولو بقليل في احياء هذه اللغة وإعادة الاعتبار لها واغفل عن الجوانب المهمة التي يمكن عن طريقها الوصول إلى هدفه الذي سعى من أجله.

[1] عاطف العراقي : الشيخ محمد عبده وبحوث ودراسات عن حياته وأفكاره المجلس الأعلى للمعارف ، 1955 ، ص 24
[2] نفس المرجع سابق ، ص - ص 35 - 36

المبحث الثالث: نقد الجانب السياسي والاجتماعي:

ظهرت في هذا المجال مجموعة من المفكرين والباحثين قاموا بتوجيه مجموعة من الانتقادات لفكر محمد عبده السياسي ولاجتماعي ومن بين هؤلاء المفكرين نذكر على سبيل المثال:

1- محمد الجبهي (.....- 1927)

يرى محمد الجبهي أن محمد عبده مات حصرت عندما تخلى عنه المستشرق السياسي الورد كرومر (1841-1917) أنه هذا الأخير هو الذي ساعده في تنفيذ مشروعه الإصلاحي السياسي خاصة في الأوساط المجتمعات المصرية وقام بإعلاء شأنه وجعل له نفوذا تاما في جميع الدوائر السياسية حتى أصبح نافذا الإرادة والامكر في القصر المصري ادهش مفكرين في المكانة التي احتلها وكان غرض الورد كرومر من وراء ذلك أن يستعمله في تنفيذ أغراضه السياسية التي اجمع عليه ساسة الدولة المحالفة.[1]

لقد استفاد الورد كرومر من فكر محمد عبده الإصلاحي خاصة في مجال السياسة عندما حقق ما كان يرغب فيه تركه بمفرده هذا ما أدى إلى عجزه من مواصلة سيره هذا العمل وتخلى عن السياسة بالدرجة الأولى.

حيث يظهر نقد الجبهي لمحمد عبده واضحا في كتابه "بلايا البوزة" الذي يرى من خلاله أن محمد عبده كانت صلته وثيقة بالورد كرومر عندما شرعت القوة بريطانية في نفي خونة بريطانيين نفي محمد عبده إلى البلاد الشامية ليفتن فيها عندما عاد إلى وطنه اتخذ مسكنا بعيدا عن عيون أنظار وكان واسط بينه وبين الورد كرومر المستشرق الإنجليزي بالنت ويلفريد سكوان (1840-1922). [2]

عندما عاد محمد عبده من منفاه اتخذ منزلا بعيدا عن الرقباء حتى لا ينكشف أمره أمام الحكومة ويتم عزله ونفيه مرة أخرى استعان ببلنتويلفرد لكي يسهل عليه عملية التواصل مع الورد كرومر ويوصل عمله إلا صلاحي وهو بهذا ساعد السلطات الأخرى على التدخل في شؤون الدولة الإسلامية وتخريب وتدمير أركانها.

[1] محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية ، مرجع سابق ، ص 87.
[2] سيد ابن حسن العفاني: أعلام واقزام من ميزان الإسلام ، دار الماجد عبري ، ط 1 ، 2003 ، ص - ص 81 - 82

2- سيد بن حسين العفاني (1936 -.....)

يعتبر السيد بن حسن العفاني من المفكرين الذين قاموا بمواجهة فكر محمد عبده السياسي ولاجتماعي وتبين الأخطاء التي وقع فيها دون أن ينتبه لذلك. إذ يرى السيد ابن حسين العفاني أن محمد عبده كان على علاقة وطيدة الصلة بالورد كرومر وهذا الأخير كان بمثابة الموجة الرئيسي لفكر محمد عبده وساعده على تقلد عدة مناصب التي استطاع بفضلها أن يحقق مشروعه الإصلاحي على أرض الواقع، لكن الورد كرومر كان يسعى من وراء ذلك إلى تنفيذ خططه السياسية للقضاء على المجتمعات الشرقة وتفكيك دينها.

لقد ألف الورد كرومر كتابه " مصر الحديثة " أراد من خلاله إقامة دولة علمانية لإسلامية ولا دينية ولا صلة لها بالإسلام إطلاق ومحمد عبده كان يهدف إلى إصلاح الذي ينشده الانجليز ولهذا فكان تعاون بين الورد كرومر ومحمد عبده يعني تقديم التنازلات من الثاني إلى الأول، فكان عدوه المشترك هم العلماء غير الأحرار "رجال الدين " الذين كانوا ينفرون من المحتل والعمل معه في أي صورة من الصور. [1]

لقد أساء محمد عبده لدولة المشرق العربي عندما اتخذ مع الورد كرومر واشتغل معه في تدمير الركائز الأساسية التي تقوم عليها المجتمعات العربية مدعيا بذلك أنه سيقوم بإصلاح أحوال المسلمين ويسير بهم نحو التقدم.

إذا بدأ محمد عبده مشروعه الإصلاحي الذي قدمه للعالم العربي بمواجهة الأزهر ونقد حكام الدولة وكذا الحياة الاجتماعية بمختلف أنواعها والورد كرومر وراء هذا الإصلاحات يجني ثماره.[2]

إن الإصلاحات التي نادى بها محمد عبده وعمل جاهدا لتحقيقها في المجتمع المصري سهلت الطريق ويسرته أمام الورد كرومر في تنفيذ خططه السياسية للقضاء على هذا المجتمع دون أن يجد أمامه في عائق من عوائق الدينية والسياسية وغيرها بالإضافة إلى هذا أنه لم يكن يرى أي حرج في الاقتباس من القوانين التشريعية الغربية وتطبيقها على المجتمعات العربية، ونظرا لإعجابه بتلك الثقافة الأوروبية قام بالتقليل من شأن الأزهر واطلق عليه اسم " الاسطبل " "المارستن " "الخراب".[3]

[1] موسى رؤوف سلام: موسوعة أحداث وأعلام مصر والعالم ، ج 2 ، ط1، مكتبة المعارف ، بيروت ، 2001، ص 256
[2] سيد بن حسن العفاني ، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام ، المرجع السابق ، ص 56.
[3] عبد الرحمان بدوي: الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د ب ، ط 1 ، 2005 ، ص - ص 78 - 79.

عندما تجول محمد عبده في شوارع أوروبا انبهر بحاضرتها وثقافتها التي شملت كل المجالات حجبت عنه نظرته إلى الدين الإسلامي كما أن القوانين التشريعية الأوروبية لا يمكننا تطبيقها على المجتمعات العربية الإسلامية لأن كل بلد له دينه ومعتقداته لابد أن نأخذها بعين الاعتبار ومحمد عبده بهذا تجاهل دور الشريعة الإسلامية وما نصت عليه من قواعد وقوانين صالحة لكل زمان ومكان.

ولقد وضع الانجليز اعظم خطة للقضاء على الشريعة الإسلامية وهي انشاء " مجلس الشورى بالقوانين" حيث كان الانجليز يحكمون مصر من خلال هذا المجلس عن طريق محمد عبده الذي كان عضوا في هّا المجلس وقدم له خدمة جليلة[1]

ظل محمد عبده الصديق الوفي للورد كرومر وساعده في تحقيق مشروعه للقضاء على المجتمع المصري في حين أن الورد كرومر لم يعتبر محمد عبده صديقاً له عللا الاطلاق بل أظهر له محبته بتحقيق هدفه المنشود.

وهذا ما تم تأكيده من طرف علي يوسف (1863-1913) من خلال تعليقه على الكتاب الذي الفه الورد كرومر " مصر الحديثة" أن الورد كرومر لم يكن صديقا لمحمد عبده بقدر ما كان محمد عبده صديقا له ، ولكن ظل الورد كرومر متمسكا بمحبته الظاهرية لتحقيق مصالحه الشخصية. [2]

يظهر هذا من خلال نية غير طيبة الورد كرومر كانت صداقته تنطوي تحتها غاية واحدة وهي تحقيق أغراضه الشخصية وفقط.

أما فيما يخص الإصلاح لاجتماعي فتعتبر قضية المرأة من أعظم علل الشرق التي عالجها جمال الدين الأفغاني وصار على دربه محمد عبده ثم انتقلت الفكرة إلى قاسم أمين وغيرهم من تلاميذ محمد عبده ، كانت أفكار محمد عبده المتعلقة بالمرأة منطلق الهجوم على موقف الشريعة من المرأة المسلمة.[3]

حيث قام محمد عبده بمعارضة ماجاء في الشريعة الإسلامية عندما تحدث عن موضوع تعدد الزوجات، وفي هذه الفكرة بالتحديد نجده قد بالغ في اتخاده لهذا القرار بأن الشريعة الإسلامية نفسها قد أباحت للرجل أن يتخذ أربعة زوجات دون وجود أي عذر أو مانع.

[1] علي يوسف صحفي مصري ولد 1863_1913 درس بالأزهر واشترك في تحرير مجلة الآداب ، ينظرا رؤوف سلامة موسى موسوعة أحداث وأعلام مصر والعالم ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط1 ، ج 2 ، 2001 ، ص 1246.

[2] كريا سليمان بيومي : التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين ،نفس المرجع السابق ، ص 82.

[3] السيد ابن حسين العفاني: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام ، دار الماجد عبري ، ط 1 ، ج 1، 2003 ، ص 84.

إذن هذه هي أهم الانتقادات التي وجهت إلى محمد عبده في إصلاحه الديني والتربوي والتعليمي وكذلك السياسي والاجتماعي من قبل المفكرين والباحثين.

المبحث الرابع: مشروع محمد عبده الإصلاحي في العالم الغربي

لقد تلقى مشروع محمد عبده الإصلاحي تأييد ومعارضة من قبل فلاسفة ومفكرين عالم العربي ، لكنه لم يقتصر على البلدان العربية فقط بل تجاوز ذلك وانتقل إلى الدول الغربية.

1- تقيم العالم الغربي لفكر محمد عبده الإصلاحي:

لقد تأثر الكثير من المفكرين الغربيين بفكر محمد عبده الإصلاحي الذي قدمه اللامة العربية، ومن بين هؤلاء المفكرين:

1-1- بالنت ويلفريدسكاون (1840-1922)

يعتبر بالنت ويلفريدسكاون أديب وشاعر وكاتب انجليزي ولد (1840. 1922) بدأ عمله في السلك الدبلوماسي وهو في الثامن والعشرين من عمره ، وفي البداية كان ملتحقا في السفارة البريطانية باثينا وبعد اثني عشر عاما أصبح عضو في السفارات والمفوضات لدى الكثير من الهيئات الأوربية ، وتعلم احترام الإسلام لكنه لم يحدث ولو مرة أنه ناقش تعاليم الإسلام مع أي عالم من علماء الشريعة الإسلامية أو حتى المتطلعين في الفكر الإسلامي الحديث.[1]

تأثر بالنت بفكر محمد عبده عندما التقى به في القاهرة وقضى معه فترة طويلة وضل يذكر ذلك التاريخ طوال حياته .

وهذا أخير تم تأكيده من خلال ما جاء على لسان محمد عبده في قوله " يجب أن أميز بين سائر الأيام لأنه فتح لي باب الصداقة بقيت الآن ربع قرن مع رجل من أحسن رجال العظام".[2]

لقد اكتشف بالنت ويلفريدسكاون من خلال صداقته لمحمد عبده على المسودات التاريخ السري لاحتلال إنجلترا لمصر سنة 1904م حيث قام محمد عبده بمراجعة تللك المسودات وعدلها ثم قدمها للبنت لكي يطبعها وينشرها. [3]

[1] بالنت ويلفريدسكاون: مستقبل الإسلام ، تقديم صبري ، محمد حسن ، دار الجمهورية ، 2010 ، ص ـ ص 5 - 8 .
[2] بالنت ويلفريدسكاون: التاريخ السري لاحتلال إنجلترا لمصر ، مراجعة محمد عبده مكتبة دار الآداب ، القاهرة ، 2008 ، ص 6.
[3] نفس المرجع السابق ص 8.

بالإضافة إلى هذا لقد اشترك فيها بالنت مع محمد عبده في الحزب الوطني المصري وسانده في هذا العمل وقام بتوضيح لكثير من الوزراء البريطانيين أهمية هذا الحزب بالنسبة للمصرين وأهداف المرجوية من ورائه.

لقد عمل بالنت ويلفريدسكاون على مساندة محمد عبده في حزبه وهذا ما ساعد على نشر أفكاره وتوسيعها في أرجاء العالم وتبين أهميتها وصلاحيتها في تقدم مجتمعات العربية.

1-2- تشارلز ادمس (1883. 1948)

يعتبر شارلز ادمس مفكر ومستشرق امريكي تأثر بفكر محمد عبده ودافع عنه بكل قواه على الرغم من أنه لم يعاصره إلا أنه استطاع أن يستفيد من تراثه الفكري الذي خلفه وأن يأخذ من مدرسته.

يرى شارلز أن محمد عبده من مفكري العرب أتيحت له فرصة في ظرف دقيق من ظروف تطور الإسلام ليزن تفكير المسلمين في القرون السابقة بميزان المعرفة العلمية الحديثة وينقده ويمحصه فيبقى ما يبقى ويضيف من علوم وفنون أروبا ما يمكن إضافة ويوفق بين الأفكار القديمة والحديثة، ونظم ذلك كله في نسق من التفكير العقلي المركب وبفضل هذا العمل الذي أثبت أنه رجل ذو عقل جبار.[1]

لقد وقف شارلز ادمس في صف محمد عبده وأثبت أن أفكار التي نادى بها حققت نجاح في البلدان العربية في مدة قصيرة واستطاع أن يوفق بين ما هو قديم وما هو حديث في بناء حضارة العربية والبلدان العربية في مدة قصيرة واستطاع أن يوفق بين ما هو قديم و ما هو حديث في بناء حضارة العربية وهذا ما جعل شارلز ينبهر بفكر محمد عبده الإصلاحي ويقلده.

1-3- ادوارد براون (1862 . 1926)

يعد ادوارد براون المستشرق الإنجليزي من المفكرين الذين عاصروا محمد عبده وشاهد الإصلاحات التي نادى بها في تلك الفترة في المجتمعات العربية. حضر ادوارد براون الدروس التي كان يلقيها محمد عبده في الأزهر على طلبته وأعجب بها.

وما يوكد هذا أخير قول الذي جاء على لسان أمين عثمان قائلا:" رأيت الكثير من البلاد والعباد ، وما رأيت مثل الفقيد المرحوم قط لا في الشرق ولا في الغرب، فو الله كان وحيدا في العلم وحيدا في التقوى

[1] عبد الكريم بصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس نموذجا ، ج1 ، دار مداد يونيفار سيتي براس ، قسنطينة ، د ط ، 2009 ص 267.

والورع، وحيدا في البصيرة والاطلاع الأمور وبواطنها، .....وحيدا في البلاغة والفصاحة، عالما محسنا ورعا مجاهدا في سبيل الله محبا في العلم، ملجأ للفقراء والمساكين." [1]

وأخير نلاحظ أن ادوارد براون قد تأثر بفكر محمد عبده من خلال ما سمعه من دروس ومحاضرته واعتبره من أعظم الرجال الذين عرفهم من الشرق والغرب طوال حياته لأنه الوحيد الذي يملك العلم والحكمة والصبر والقوة.

2- نقد العالم الغربي لفكر محمد عبده الإصلاحي:

1- هورتن مستشرق الماني ولد (1874-1945) عني بالفلسفة وعلم الكلام أصدر عدد كبير من الدراسات والترجمات لكنه قل انتاجه في اللغة العربية والمصطلحات الفلسفية والكلامية العربية من ناحية وسوء النشرات التي اعتمد عليها من ناحية أخرى ومن بين تلك الدارسات والترجمات التي حققها في حياته نذكر على سبيل المثال:

- كتاب الفصوص لأبو نصر الفارابي.

- نظرات فلسفية لرازي والطوسي.

- مشاكل فلسفية في علم الكلام النظري في الإسلام.

- المذاهب الفلسفية للمتكلمين النظريين في الإسلام.[2]

يعتبر ماكس هورتن من المفكرين المستشرقين الذين عاشوا في زمان محمد عبده وشهدوا المشروع الإصلاحي الذي سعى إلى تحقيقه في الوطن العربي ووقف موقف الرافض لهذا العمل الذي قدمه ووجه له مجموعة من الانتقادات ومن بين تلك الانتقادات التي تعرض لها محمد من قبل ماكس هورتن نذكر:

- أن ماكس هورتن لا يضيع محمد عبده في خانة عظماء ومفكري الإسلام، لأنه درس مؤلفاته من وجه العالم الغربي ورأى بأنه لا يستحق أن يكون في هذه القائمة.

- صرح ماكس هورتن أن محمد عبده من خلال تقديمه لمشروعه الإصلاحي لم يكن كفؤا للنهوض بذلك العبء كما كان غيره من عظماء ومفكري الإسلام لأن جهوده كانت ضئيلة مقارنة بجهود هؤلاء. [3]

[1] عثمان أمين: رائد الفكر المصري ، الإمام محمد عبده ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ، د ط ، 1996 ، ص 62.
[2] عبد الرحمان بدوي موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط3 ، 1993 ، ص 618.
[3] تشارلز ادمس : الإسلام والتجديد في مصر ، تقديم مصطفى عبد الرزاق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2015 ، ص 100.

يرى ماكس هورتن أن المؤرخين الغربيون الذين يتابعون التطور العقلي بالشرق لا يلاحظون نهضة الإسلام في هذا الوقت الذي تغلغلت فيه الثقافة الحديثة ولم يهيئ لهم القدرة العثور على مفكر مثل علي ابن سينا (980 . 1037) يغالب الثقافة الجديدة ويبقى القديم وينهض بما فيه خير البلاد ويدرك أمهات مسائل المعرفة في العالم ويحاول حلها . وإن أمة العربية لم تجد يومنا هذا الرجل المثالي الذي يتحقق عن طريقة تقدم الأم مثلما فعل الأولون من المفكرين والفلاسفة.

– إن طرائق محمد عبده ليست موضوعية علمية بقدر كافي فلم تسلم النتائج التي توصل إليها من أنحاء النقص واوجه النقد المختلفة، ولم يحاول ولو مرة واحدة نقد المعرفة نقدا متينا أما فيما يخص الفلسفة فان الاشتغال بها في راية الخروج عن الدين الإسلامي هو بهذا هدم الأشياء التي يقضي بهدمها روح التقدم ، وهو عندما حاول تقرير مسائل في الفلسفة نجح نجاحا جزئيا فقط، فقد وقف إلى تمهيد السبيل لتفكير العلمي والثقافة الحديثة بما أظهره عجز القديم وقصوره.[1]

– يرى ماكس هورتن أن محمد عبده عندما عرف المنهج الحديث في التفكير ذلك المنهج الذي يقابله المنهج المدرسي في العصور الوسطى يبدوا أنه هدم الكثير من أصول القديم وهو بذلك لم يصل إلى الدور الأول في محاولة وضع أساس معقول للتفكير الحديث والثقافة الحديثة.[2]

إن المنهج الذي اتخذه محمد عبده في مشروع الإصلاح قد أوقعه في مجموعة من الأخطاء المتمثلة في قضائه على التراث القديم وتمسكه بالحديث فقط.

– يؤكد ماكس مارتن أن محمد عبده بعمله هذا الذي قدمه للأمة العربية هدم الكثير مما هو خير بالأخص ما استقيناه من السلف الصالح.[3]

ومعنا هذا أنه ينبغي علينا أن نعيد الكثير مما هدم، ولقد سلم محمد عبده في ذلك بكثير من الآراء المسلمة ولذا لازال عنده الكثير من الحطام البالي الذي يجب إزالته حتى يفسح المجال للبناء الجديد.

إن محمد عبده اعتمد في مشروعه إصلاحي على ترحيب بالحديث وقبوله والاستفادة منه بأي طريقة كانت، وهو بذلك قضى على تراث وما احتواه من مميزات وخصائص التي من خلالها نصل إلى التقدم وتطور المطلوبين، ولقد اتى محمد عبده بأقل ما كان يرجى منه لإعادة بناء التفكير الإسلامي الحديث وهذا ما أكده

[1] تشارلز ادمس : مرجع نفسه ، ص ـ ص 101 - 102 .
[2] نفس مرجع سابق ، ص 103.
[3] عبد الكريم بصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر ، محمد عبده وعبد الحميد ابن سينا نموذجا ، ج1 ، دار مداد يوني فارسيتي براس ، قسنطينة ، د ط ، 2009، ص ـ ص 296 - 297.

ماكس هورتن كما جاء بقلم شارلز ادمس قائلا:" الا انه من الغباء أن تتوقع من شرقي نتائج كاملة في ميادين مزال الغرب نفسه بعيدا عن الوصول إلى تلك النتائج فيها ، وكان محمد عبده مضطرا لأن يغالب البيئة التي عاش فيها وتأثر بها فإن تأخرها الشديد يظهر عمله في ضوء اشد توهجا ويجعلنا عن كثير من هاناته. [1]

لا يمكن أن يحقق محمد عبده نهضة في المجتمع الشرقي وحتى المجتمع العربي لأن جهوده غير كافية لتحقيق هذا الفعل، ومادام الغرب نفسه عجز عن تحقيق هذه الإصلاحات في كل الميادين فكيف لمحمد عبده أن يحققها في أوساط المجتمعات العربية المختلفة.

هذه هي أهم الانتقادات التي قدمها ماكس هورتن لفكر محمد عبده الإصلاحي.

[1] تشارلز ادمس: الإسلام والتجديد في مصر ، تقديم مصطفى عبد الرزاق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2015 ، ص 104

الخاتمة

الحمد الله الذي أعاننا على إتمام هذا البحث ونرجو أن يكون عملنا هذا خالصا لوجه الله الكريم وإن يكون خطوة في السير نحو المنهج عملي صحيح.

يعتبر محمد عبده من ابرز مفكرين العرب الذين نادوا بضرورة احداث الإصلاح في العالم العربي ووضع بذلك مشروعا الإصلاحي عالج فيه مشكلة اصلاح وتقدم فيه بمجموعة من الإصلاحات تضمنت الجانب الديني والتربوي والتعليمي بالإضافة إلى جانب السياسي والاجتماعي، ونادى فيه بضرورة الإصلاح تللك المجالات لأن صلاحها يشكل تقدم الأم العربية.

ويمكننا تلخيص أهم نتائج توصلنا إليها في النقاط التالية:

– اعتمد محمد عبده في بناء مشروعه إصلاحي على المنهج العقلي الحديث الذي يقوم على الوسطية.

– إن اصلاح الدين عند محمد عبده يتم عن طريق تحرير الفكر من قيود التقليد مع الاعتماد على السلف الصالح بالإضافة إلى فتح باب الاجتهاد والاستفادة من ثمار الحضارة الأوروبية.

– ركز محمد عبده في مشروعه على ضرورة إصلاح التربية والتعليم واعتبر التربية هي أساس التقدم المجتمعات العربية.

– انطلق محمد عبده في إصلاحه السياسي بتركيز على ضرورة اصلاح الحكومة وجعلها شورية بالإضافة إلى اصلاح الحكام.

– اعطى محمد عبده في اصلاح الاجتماعي الأولوية لمعالجة قضايا المرأة خاصة التعليم، ومنع تعدد الزوجات الا في حالات استثنائية.

– نلاحظ أن محمد عبده رفض وقاوم التدخل الأجنبي أو ما نسميه بالاستعمار في جميع أشكاله، ولاسيما الاستعمار الإنجليزي.

– دعا محمد عبده دعوة صريحة إلى النهضة والنمو والتطور.

– تأثر الأستاذ الإمام محمد عبده بأفكار أستاذه جمال الدين الأفغاني وبذلك فقد حمل مشعل الإصلاح وعمد على تطبيق الأفكار الإصلاحية بعد وفاة أستاذه جمال الدين الأفغاني.

– وضع محمد عبده نصب عينه إصلاح الأزهر وذلك بإدخال العلوم الأوروبية في مناهجه وذلك عن طبعا بعد معايرتها ومقارنتها بمعاييرنا الاجتماعية وثقافية والإسلامية.

– ترك لنا الشيخ محمد عبده ثروة زاخرة من الكتب القيمة منها " رسالة التوحيد" وكتاباته في " العروة الوثقى" التي أسسها مع أستاذه جمال الدين الأفغاني في مجاله الإصلاحي.

– لم يخضع محمد عبده ولم يستجب لما يميله الآخرون ، وهذا ما يجعلنا نستنتج أن محمد عبده رجل ذو صبر والتحمل وطول النفس على الشدائد والمحن.

– نجد كذلك بأن محمد عبده قد استقى من الأزهر العلوم التي أخذ ينشرها، كما كرس حياته للإسلام ينصره والعربية يحميها من كيد الكائدين.

– غاب محمد عبده عن الساحة المصرية لفترة ما بسب الظروف والملابسات التي كانت قد أحاطت به.

– يعد الشيخ محمد عبده من أبرز أعلام ، وكانت اجتهاداته وافتاءته أوضح معبر عن فكره الإصلاحي.

– المشروع الإصلاحي للمحمد عبده جاء بهدف التخلص من الجمود والتقليد لذلك نادى بالتجديد الديني كحل للمشاكل في العالم العربي.

– تميزت حياة الشيخ محمد عبده بالجهاد والعلم والتضحية والنصيحة وقد حاولنا رسم خطوطها الكبرى في هذه الدراسة من خلال الإشارة إلى عدد من معالم الإصلاح في فكره، مع عدم إدراكنا بعدم الإحاطة بكل نشاطاته ومواقفه في مسيرته الشخصية الطويلة التي وصلت إلى 57سنة من العطاء.

وفي نهاية هذه الدراسة، لابد من لإقرار بأن الشيخ محمد عبده كان يعمل عمل الجاد لا المتخاذل وأن دراسة بهذا الحجم لا يمكن أن تحيط بكل أعماله ومواقفه ، ويبقى هذا العمل مجرد محاولة لجوء إلى العالم ويبقى أمر يجب إشارة إليه يتمثل في كون محمد عبده يحظى بتقدير في العالم الغربي أكثر من تقديرنا له، كما يمكننا أن نستنتج خلال درستنا أن مشروع محمد عبده الذي تقدم به قد وصل إلى العالم العربي عموما، وللمشرق خصوصا أحدث ضجة في الوسط الاجتماعي وهذا ما يظهر جليا من خلال أفكار التي سادت والمنظومة التي خطها الإمام محمد عبده وكذا المتأثرين به ، ولكنه لم يصل إلى حلول الجذرية لكافة الإشكاليات المطروحة إلى يومنا هذا لايزال الكثيرون من المفكرون يسعون إلى إيجاد حلول مناسبة لإخراج العالم العربي من التخلف الذي بات يسيطر عليه من تقدمه.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

أ- قائمة المصادر :

01. القرآن الكريم.

02. السنة النبوية الشريفة.

03. محمد عبده: الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، د ن، القاهرة، ط 5، 1938 .

04. محمد عبده: الأعمال الكاملة، ج 1، ت ح، محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، ط 3، 1993.

05. محمد عبده: الأعمال الكاملة، ج3، ت ح، محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، ط1، 1993.

06. محمد عبده: الأعمال الكاملة، ج4، ت ح، محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات للنشر، بيروت، د ط، 1980.

07. محمد عبده: الأعمال الكاملة، الفكر التربوي والإصلاحي والإلهيات، ت ح، محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، ط1، 1993 .

08. محمد عبده وجمال الين الأفغاني: رسائل في الفلسفة والعرفان، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 1993 .

09. محمد عبده: رسالة التوحيد، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1994 .

ب . قائمة المراجع :

01. ألبرت الحوراني: الفكر العربي في عصر النهضة 1798 . 1939، تر كريم عزقول، دار النهار، بيروت، د ط، د س.

02. ألبرت سكاون بالنت: التاريخ السري لاحتلال إنجلترا مصر، ت ح محمد عبده، مكتبة الآداب، القاهرة، د ط، 2008.

03. أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، د س .

04. أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب، لبنان، ط1، 1971 .

قائمة المصادر والمراجع

05. أحمد عبد الحليم ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، ج 8، ت ح، محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود السعودية، ط 2، 1991 .

06. أحمد برقاوي: محاولة في قراءة عصر النهضة . الإصلاح الديني . النزعة القومية، دار الأهالي، دمشق، ط2، 1999.

07. تشارلز أدمس: الإسلام والتجديد في مصر، تر عباس محمود، دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة، د ط، د س.

08. جرجي زيدان: مشاهير الشرق، ج 1، د ن، القاهرة، د ط، د س.

09. جمال الدين الأفغاني: الأعمال الكاملة، ج 2، ت ح محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د ط، 1981.

10. حمد صدق الجمال: اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر، في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، دار عالم الكتب، الرياض، ط 1، 1994 .

11. رفاعة رافع الطهطاوي: الأعمال الكاملة التمدن الحضارة العمران، ج 1، ت ح محمد عمارة، دار الشروق، د ب، د ط، 2010.

12. رفاعة رافع الطهطاوي: المرشد الأمين في تعليم البنات والبنين، المجلس الأعلى للثقافة، د ب، د ط، 2002.

13. رفاعة رافع الطهطاوي: مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، المجلس الأعلى للثقافة، د ب، د ط، 2002.

14. رفاعة رافع الطهطاوي: تخليص الإبريز في تخليص باريز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ب ، د ط، 1998.

15. زكي سليمان بيومي: التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين دراسة تاريخية في فكر الشيخ محمد عبده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط، 1983.

16. زكي نجيب محمود: تحديد الفكر العربي، دار الشروق، القاهرة، ط 9، 1993.

17. سعيد إسماعيل علي: الفكر التربوي العربي الحديث، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 113، 1990 .

18 . صلاح زكي أحمد: أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط 1، 2001.

19 . عباس محمود العقاد: عبد الرحمن الكواكبي . مؤسسة هنداوي، القاهرة، د ط، 2012.

20. عبد الرحمن الكواكبي: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ت ح محمد عمارة ، دار الشروق، القاهرة، ط 2، 2009.

21. عبد الرحمن الكواكبي: الأعمال الكاملة، ت ح محمد جمال طحان، بيروت، دراسات الوحدة العربية ، ط 1، 2005.

22 . عبد الرحمن النحلاوي: أعلام التربية في الإسلام، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1986.

23. عبد الرحمن بدوي: الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ب، ط1، 2005.

24. عبد العظيم رمضان: صراع الطبقات في مصر 1837 . 1952 المؤسسة العربية، بيروت، ط 1، 1978.

25. عبد الكريم بو صفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس نموذجا، ج 1، دار مداد يوني فار سيتي براس، قسنطينة، د ط، 2009.

26 . عبد النعيم حسنين: حقيقة جمال الدين الأفغاني، دار الوفاء، القاهرة، ط1، 1998.

27. عثمان أمين: الإمام محمد عبده رائد الفكر المصري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، د ط، 1996.

28. علي الحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798 . 1914، دار الأهلية، بيروت، د ط، 1987.

29. فهمي جدعان: أسس التقدم عند المفكرين الإسلام في العصر الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 3، 1988 .

30. قادري قلعجي: محمد عبده بطل الثورة الفكرية في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، العدد 12، د س.

31. لويس عوض: تاريخ الفكر المصري الحديث في عصر إسماعيل إلى الثورة 1919، الهيئة المصرية العامة، للكتاب، القاهرة، د ط، 1980.

32. ماجد عرسان الكيلاني: مناهج التربية الإسلامية والمربون والعاملون فيها، مؤسسة الريان، بيروت، د ط، 1998.

33. مالك بن نبي: مشكلات الحضارة . وجهة العالم الإسلامي، ت ح عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت، د ط، 2002.

34. محمد البهي: الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، مطبعة مخيمر، القاهرة، د ط، 1957.

35. محمد عبد الوهاب: تعليم الصبيان التوحيد، دار الحرمين، القاهرة، د ط، د س.

36. محمد بن عبد الوهاب: كتاب التوحيد حق الله على العبيد، مكتبة دار الكتاب الإسلامي، المدينة المنورة، د ط، 1991.

37. محمد بن عبد الوهاب: كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، ج 1، ت ح إسماعيل بن محمد الأنصاري ، المركز الإسلامي للطباعة والنشر ، القاهرة، د ط، د س.

38. محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، ج1، دار الفضيلة، مصر، د 2، 2006.

39. محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، ج2، مطبعة المنار، مصر، د ط، 1931.

40. محمد صبري: تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1926.

41. محمد عمارة: الجامعة الإسلامية والفكرية القومية، دار الشروق، القاهرة، ط1 ، 1994.

42. محمد عمارة: جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام، دار الشروق القاهرة، ط2، 1988.

43. محمد فوزي عبد المقصود: الفكر التربوي لمحمد عبده، مطبعة جامعة الفيوم، القاهرة، د ط، د س،

44. محمود أمين العالم: الهشاشة النظرية في الفكر العربي المعاصر، د ن، د ب، د ط، 1995 .

45. مرتضى المطهري: الحركات الإسلامية في القرن الأخير، تر صادق العبادي، دار الهادي، بيروت، د ط، 1982 .

46. مفيدة محمد إبراهيم: عصر النهضة العربية بين الحقيقة والوهم، دار مجدلاوي للنشر، عمان، ط1، 1999.

ج- المعاجم والموسوعات:

01. ابن منظور: لسان العرب، ج 7، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1999.

02. إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الآمرية، القاهرة، د ط، 1983.

03. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.

04. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.

05. جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط 3، 2006 .

06. اندريه لا لاند: موسوعة لا لاند الفلسفية، ج 1، تر خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط 2، 2001.

07. موسى رؤوف سلام: موسوعة أحداث وأعلام مصر ومعالم ، ج2، ط 1، المكتبة والمعارف، بيروت، 2001.

د . المجلات والدوريات:

01 . مجلة الشهاب: ج 5، المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة، جوان 1931.

02. مجلة الشهاب: ج8، المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة، نوفمبر 1935.

هـ . المذكرات والرسائل الجا معية:

01 . زليخة بوقرة: سوسيو لوجيا الإصلاح الديني في الجزائر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . نموذجا . رسالة ماجيستير، غ م ، جامعة باتنة، 2009.